الفصل الثاني

محاربة الحكم الإسلامي والدعوة إلى تحكيم غيره

(تحكيم الشرع وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه)[1] فكما أمر سبحانه وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فقد أمر بتحكيم شرعه وحده دون غيره، وكما يقع الإشراك في العبادة يقع في الحكم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[2].

وهذه القضية قاعدة محكمة وأصل ثابت وأساس مكين في هذا الدين، وليس الخلاف فيها ـ من حيث حقيقتها وأصلها وحكمها ـ مما يسوغ فيه الخلاف، أو يتسع فيه النظر والاجتهاد.

فكما أنه لايتسع الخلاف في قضية العبادة في الصلاة لغير الله والركوع أو السجود أو الدعاء فكذلك لايتسع الخلاف في قضية الحكم (إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له، وأن يكون

---

(١) كلمة جليلة للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ المفتي السابق للمملكة ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية، فتاوى ومسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ٢٥١/١٢، والمراد بيان منزلة تحكيم شرع الله من دين الإسلام، وهو جزء من عبادة الله تعالى، وليس قسيماً لها.

(٢) الآية ٢١ من سورة الشورى.

الرسول ﷺ هو المتبع، المحكم ماجاء به فقط)[1].

إن أمر الحكم بما أنزل الله تعالى واجب على الأعيان لا مرية في ذلك ولا اشتباه، بل هو من المحكمات البينات في دين الإسلام، لتعلقه بأصل الدين، وارتباطه بالإيمان بالله رب العالمين.

قضية الحكم بما أنزل الله تعالى ليست من القضايا التي يُمكن التعامل معها على أساس اختياري، بل هي قضية ملزمة لايثبت عقد الإسلام ابتداءً إلاّ بوجودها، وقضية ينقسم الناس عندها إلى مؤمنين وكافرين، وموحدين ومشركين، فمن حقق هذه القضية مع الأركان الأخرى فهو المؤمن الموحد، ومن جحدها أو شك في لزومها فقد نقض عقد الإسلام وخلع ربقة الإسلام من عنقه، إذ القبول لها قبول بالإسلام، والمماراة فيها أو التردد في قبولها أو الارتياب في وجوبها، مماراة وتردد وارتياب في الإسلام نفسه.

وتقوم هذه القضية العظيمة على عدة أسس:

الأول: أن الله هو خالق الإنسان والحياة، ومن خلق وأوجد من عدم فله حق الأمر وتجب له الطاعة ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، فمن رضي بالله رباً وأقر بأن الله تعالى هو الخالق المالك المتصرف وجب عليه أن ينصاع لأمره ويصدق بخبره، وهي حقيقة الرضا بالله رباً، تتجلى في الإقرار بالأمر الكوني والشرعي لله العلي سبحانه وتعالى، وفي الإقرار لله تعالى بأمره وتدبيره الكوني القدري، والإقرار والتسليم لأمره وتدبيره الشرعي، فمن أقر بأن الله خالق مالك متصرف ولكنه جحد أن يكون له الحكم والتشريع، فإنه قد تناقض في إقراره بالربوبية وجحده للألوهية، ولاينفعه ذلك، بل قد حل عقد الإسلام من نفسه، وخلع ربقة الدين من عنقه.

وهذه القضية هي التي حصل فيها النزاع بين الرسل وأتباعهم وشياطين الإنس والجن وأتباعهم، فأكثرهم يقر بأن الله خلق الخلق وبيده الملك والتصريف للكون والحياة والإنسان، ولكنه ينازع في حق الله تعالى في الأمر

---

(١) المصدر السابق ١٢/ ٣٥١.

(٢) الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

الشرعي ويدعي ـ بلسان حاله أو مقاله ـ أن له المشاركة مع الله ـ جلَّ وعلا ـ في وضع الشرائع والمناهج.

وصفوة القول في هذا المقام أن توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله هو الخالق وحده والمالك والمتصرف وحده لايستقيم في قلب إنسان إلاّ إذا أقر بأمر الله الشرعي، وأيقن أن لله وحده السيادة العليا والتشريع المطلق، وله الطاعة المطلقة والأتباع والقبول، فلا دين إلاّ ما شرعه الله ولا حلال إلاّ ما أحله الله ولا حرام إلاّ ما حرمه الله، ومن أجاز للناس اتباع شريعة غير شريعته، أو استحل ذلك أو رأى أن شريعة غير الله مساوية لشريعة الله أو أفضل منها فهو كافر مشرك ولو صلى وصام وحج وزكى وبنى المساجد وتصدق وزعم أنه مسلم.

الثاني[1]: إن الأمم الكافرة التي أرسل الله إليها الرسل كانت تؤمن بربوبية الله تعالى، وتؤمن بوجوده، وتؤمن بأنه خالق كل شيء ومالك كل شيء والمتصرف في كل شيء، ومع ذلك أرسل الله إليهم الرسل وأنزل الكتب؛ وعلة ذلك أنهم مع إقرارهم بالربوبية والخلق والتدبير الكوني، كانوا يجحدون حقه ـ جلَّ وعلا ـ في الأمر والحكم الشرعي، وكانوا لايفردونه سبحانه في هذا، بل يتخذون معه أو دونه أرباباً من الأصنام أو الآلهة الباطلة أو الأعراف والتقاليد، أو النظم أو الأحبار والرهبان أو غير ذلك من الأنداد والشركاء؛ لأجل هذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب وحصل الصراع الطويل بين الفئتين؛ وسبب ذلك أنهم لما نازعوا في الأمر الشرعي، وردوا حكم الله وشريعته كانوا في الحقيقة منازعين في ربوبيته؛ لأن مقتضى الإقرار بالربوبية يلزم منه الالتزام بشرع الرب الخالق المالك المتصرف، ومن اعتقد أن الله تعالى خالق الناس وجب عليه أن يلتزم بالتحاكم إلى شرع خالق الناس، فكما أن الخلق كله لله وحده لاينازعه فيه أحد، فإن الأمر كله لله لايشاركه فيه أحد ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

---

(١) وهذا الوجه بمثابة البسط والشرح للوجه الذي قبله.

(٢) الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

ولو كانت تلك الأمم المقرة بربوبية الله تعالى تُعتبر عند الله تعالى أمماً مسلمة لما أرسل الله إليها الرسل، ولما سلط عليهم رسله وعباده في الدنيا، وأنزل عليهم عقوبته ومقته وغضبه، ولما توعدهم بالعذاب والخلود في نار جهنم أبد الآبدين.

بل إن الله تعالى أخبرنا أن هؤلاء الذين يجحدون الحق ويكذبون الرسل ويردون أمر الله الشرعي مع إقرارهم بالربوبية، ليسوا سوى مشركين، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾(١).

وقال - جلَّ شأنُهُ وتقدَّستْ أسماؤُهُ -: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾(٣).

---

(١) الآيات ٨٤ - ٩٠ من سورة المؤمنون.

(٢) الآيتان ٣١، ٣٢ من سورة يونس.

(٣) الآيات ٦١ - ٦٣ من سورة العنكبوت.

فمع إقرارهم بالربوبية ولوازمها إلا أنهم عند الله تعالى ما زالوا مشركين كافرين.

الثالث: وجوب التفريق بين حقيقة الألوهية، وماهية النفس البشرية، وهذا الفصل بين القضيتين هو أساس إيمان المؤمنين، كما أن عدم الفصل بينهما هو أساس كفر الكافرين وإشراك المشركين.

فالله تعالى له الصفات العليا التي لايشابهها صفات، متفرد في كماله وجلاله، عظيم في صفاته وأعماله، ليس فيه نقص، فهو الكامل الكمال المطلق، وليس فيه عيب، فهو المنزه عن كل النقائص والعيوب، (يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقضي وينفذ، ويعز ويذل، ويقلب الليل والنهار ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول، . . . والرسل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الأيام[1]، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء، على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولاتقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيهما ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وحكمة، ووسع سمعه الأصوات فلاتختلف عليه ولاتشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها، لايشغله سمع عن سمع، ولاتغلطه كثرة المسائل، ولايتبرم بإلحاح ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر. . . ، له الخلق والأمر وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة. . . شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء ووسعت نعمته كل حي. . . يغفر ذنباً ويفرج هماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً،

---

(١) في المطبوع: الآيات، ولعل الصواب ما أثبته.

ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانياً، ويشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن من روعة، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ولاينام ولاينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور: لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، يمينه ملأى لاتغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، . . . قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه. . .

ولو أن أشجار الأرض كلها ـ من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا ـ أقلام والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى، وكيف تفنى كلماته ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ وهي لا بداية لها ولا نهاية؟ والمخلوق له بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنفاد، كيف يفني المخلوق غير المخلوق؟ هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس دونه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، تبارك وتعالى، أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأولى من شكر، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم، حلمه بعد علمه، وعفوه بعد رحمته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته، هو الملك لاشريك له، والفرد فلا ندّ له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعلي فلا شبيه ولا سمي له، كل شيء هالك إلاّ وجهه، وكل ملك زائل إلاّ ملكه، وكل ظل قالص إلاّ ظله، وكل فضل منقطع إلاّ فضله، لن يطاع إلاّ بإذنه ورحمته، ولن يعصى إلاّ بعلمه وحكمته، يطاع فيشكر، ويعصى فيتجاوز ويغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حال دون النفوس وأخذ بالنواصي، وسجل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده

علانية، والغيب عنده شهادة، عطاؤه كلام، وعذابه كلام ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[1])[2].

وهذه قطرة من بحر صفاته جلّ جلاله، وتقدست أسماؤه، وبعض ما يستحقه من جلال وجمال وكمال، وكيف لا؟ وهو الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3]، وهو الذي لا نظير له ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[4] فما من كمال إلاّ والله أكمل منه، وما من جلال إلاّ والله تعالى أجل وأعظم منه، وهكذا جاءت شريعته سبحانه وتعالى، كاملة غاية الكمال، شاملة كل الشمول، عادلة أعمق العدل، وافية أتم الوفاء، لا عيب فيها ولا نقصان، ولا ظلم فيها ولا عدوان، بل هي المبرأة من كل العيوب لكمالها، النقية من كل خلل ونقص لكمال مشرعها والحاكم بها، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[5].

فهذه هي حقيقة الألوهية، بل بعض حقيقتها.

أمَّا الإنسان، فهو مخلوق بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، أوجده الله من العدم، وبرأه وأحياه، فهو محكوم بطبيعته من أول لحظة خلق فيها، ليس كلياً ولا مطلقاً، وليس أزلياً ولا خالداً في الدنيا، يعيش في حالة الاضطرار دائماً، فقير إلى من يحيه ويغذيه ويربيه وينميه ويحفظه، والفقر وصف دائم له أبداً لايُمكن أن ينفك عنه، وإن خيل لنفسه أنه استغنى في بعض مراحل عمره فإنه لايُمكن له أن يدبر أمر نفسه إلاّ بمعين، ولايُمكن له أن يخلق شيئاً ولو ظاهره كل المخلوقين، كما لايستطيع رزق أحد ولا إعزازه ولا إذلاله إلاّ بمشيئة الله رب العالمين، وفي حيز ضيق من الحياة، أمَّا الإحياء

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يس.
(٢) الوابل الصيب: ص ٧٥ ـ ٧٧.
(٣) الآية ١١ من سورة الشورى.
(٤) الآية ٤ من سورة الإخلاص.
(٥) الآية ٣ من سورة المائدة.

والإماتة وتقليب الأيام وتداول الدول وتصاريف القدر فليس للإنسان في ذلك قدرة، وإن كان آلة وسبباً في بعض الأحيان.

نعم للإنسان إرادة واختيار، ولكن ليست كل مراداته تنفذ، وليس كل اختياره يقع، بل قد يريد شيئاً ويصبح ضراً عليه، ويختار شيئاً فينقلب شراً عليه، فما كل ما يشاؤه الإنسان كائن لا في الوقت ولا على الوجه الذي يشاء، بل المشاهد أنه إن وقع فإنه يقع زائداً أو ناقصاً أو متقدماً أو متأخراً.

وللإنسان أمر وسلطان ـ بحسبه ـ ولكن سلطانه ـ لو كان له سلطان الأرض كلها ـ سلطان ناقص وأمره محدود غير نافذ، يحده الاضطرار، وينقصه من شاء إذا استطاع، ثم سلطانه ليس شاملاً لكل شيء فقد يحكم أرضاً وفيها من يقاومه ويحاربه ويغالبه، وله سلطان على مكان، وخلف جدار ذلك المكان يحدث ما لا علم له به وما لاقدرة له على دفعه.

وللإنسان عقل وإدراك ولكنه محدود بحدود الطبيعة البشرية المخلوقة، فقد كان بلا عقل عندما خلق في الرحم ثم نزل إلى الأرض، ثم بدأ يميز قليلاً قليلاً ويزداد من المعارف والمعلومات شيئاً بعد شيء، ويتنقل في سلم المعارف لحظة بعد أخرى حتى يدرك، ويعقل ثم حتى يبلغ أشده إلى أن يشيخ وهو في كل ذلك ـ وإن أوتي أكبر عقول أهل الدنيا ـ تشتبه عليه الأمور، وتتغير عنده الآراء، وتنتقض عنده العزائم، وتختلط عليه القضايا، وتضطرب عنده الموازين، هذا كله في الأمور التي يدركها بعقله، وهي ولو كثرت ليست سوى قطرة صغيرة من محيطات المعلومات والآراء والقضايا، فهو مع عجزه التام عن الإحاطة بكل المعلومات والمدركات، هو عاجز أيضاً عن الإحاطة بكل تفصيلات ما وصل إلى علمه وإدراكه، بل في تناقض رأيه، وانتقاض عزمه، وتبدل وجهته، وأسف نفسه على فعل ما فعل أو ترك ما ترك دليل على محدودية عقله وانحصار إدراكه.

ولو كان الإنسان أذكى أذكياء الدنيا فإنه يشغله رأي عن رأي وسمع عن سمع ورؤية عن رؤية، وتغلطه المتشابهات من الآراء والمسموعات والمرئيات، ويشغله بعضها عن بعض، لايستطيع الإحاطة بنفسه علماً فضلاً

عن الإحاطة بغيره، يحجب سمعه الجدار، وتحجب رؤيته الأستار، ويحجب إدراكه للأمور على تمامها ما غاب عنه من تفاصيلها ومجرياتها ونتائجها.

أمَّا إدراكه للسر الخفي في ضمير نفسه أو ضمائر غيره، من خطرات القلوب، وأحاديث النفوس فهو أعجز عنه، فضلاً عن عجزه الكامل عن إدراك ما سوف يحدث في المستقبل من حوادث ونوازل وخطرات وحركات.

وللإنسان ملك، ولكنه ملك محدود مسلوب، أتاه بعد أن لم يكن في يديه، وذاهب عنه بعد أن استولى عليه، وهو في حال امتلاكه لايستطيع أن يمنع عنه كل الآفات، ولا أن يحفظه من كل البليات، بل قد يملك ما فيه ضرره، ويترك ما فيه خيره وصلاحه، وقد يتمسك بما فيه هلاكه وهو لايدري، ويفرط في ما فيه نجاته وهو لايعلم.

ولايستطيع الإنسان مهما أوتي من قوة وإدراك أن يدفع عن نفسه ـ فضلاً عن غيره ـ ورادات الهموم والغموم، بل لايستطيع أن يكشف كربة نفسه أو يجبر كسرها، أو يغني نفسه من الفقر إلاّ بإرادة الله ـ جلَّ وعلا ـ، وكذلك أفعاله الأخرى في الهداية من الضلالة وإرشاد الحائر وإغاثة اللهفان وفك العاني وإشباع الجائع، وكسوة العاري، وشفاء المريض، وغير ذلك، فإنه لايقدر على هذه الأفعال إلاّ بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، بل قد يريد فعل شيء من ذلك فينعكس عليه الأمر، ويضطرب عليه الحال، وتنقلب الأمور رأساً على عقب، فلايعلم لم حصل ذلك كما أنه لايقدر على دفع ذلك؛ لاستيلاء العجز عليه، ولمحدوديته الكاملة، وبشريته العاجزة.

والإنسان مع عقله وإدراكه، يفقد ذلك كل يوم بالنوم، ويفقد أحياناً بالإغماء أو بالجنون أو بغير ذلك من العوارض، فلايستطيع أن يدفع عن نفسه أثر هذه الأمور، بل هو يطلب النوم ويحتاجه، وتدركه السنة ويغلبه الوسن، ولايقدر على دفع ذلك كما لايستطيع دفع الضعف والخرف في العقل إذا كبرت به السن وتطاول به العمر.

والإنسان مع عقله وإدراكه تغلبه على عقله ـ أحياناً ـ الشهوة،

والغضب، والحزن والفرح، فيتصرف في تلك الأحيان تصرف الأحمق، ويتحرك حركة المجنون، ويعمل ويقول مايتندم عليه، أو مايتعجب من حصوله منه بعد ارتفاع هذه الواردات عنه.

والإنسان فيه ـ إلاّ من رحم الله ـ أخلاط الأخلاق الرديئة، ورعونات النفس الأمارة، وفيه الشهوة العارمة، والأنانية الذاتية، والحسد، والأثرة والحب والكره، والانتصار للنفس، والكبر والعجب.

والنفس الإنسانية لاتخلو من عيوب تؤثر فيها، ومنها أنها تستجلب فك الضر ممن لايملكه، وجلب النفع ممن لايقدر عليه، ولاترى نقصها وتقصيرها ولا تألف الحق إلاّ مكرهة؛ لأن الطاعة على خلاف سجيتها، وتحب متابعة الهوى والشهوات، وتغلب عليها الغفلة والتواني والإصرار والتسويف في شأن الحق والهدى، وتغلب عليها اليقظة والإسراع في شأن المعصية والشهوة والرغبة، وتشتغل بعيوب الناس عما بها من عيبها، وبتزيين الظواهر دون البواطن، وتطلب الرئاسة بالعلم والتكبر والافتخار به والمباهاة بما تمتلك وبما لديها من مواهب وقدرات، وإذا رضيت مدحت المرضي عنه وتجاوزت عيوبه، وإذا غضبت ذمت وتناست المحاسن، وفيها طمع وجشع وحرص على اقتناص الحظوظ، والانتقام للذات والخصومة والغضب، واتباع الهوى، وموافقة مايرضى النفس، وتضييع الأوقات بما لانفع فيه أو بما فيه ضرر، ووقوعها في الكذب والشح والبخل، والإصرار على ما به ضررها، والغفلة عن ما فيه مصالحها الحقيقية، وألفتها للخواطر الرديئة والإرادات الخبيثة، وحبها للترؤس والسيطرة والعلو، وميلها إلى التحكم والطغيان.

وغير ذلك من الصفات والأدواء التي لايخلو من بعضها إنسان، وقد يجتمع أكثرها في بعض الناس، خاصة الذين يتصدون لحكم الناس أو الذين تكون لهم مناصب توجيه وتأمّر، إلاّ من رحم الله وقليل ما هم.

ومن كانت هذه صفاته فلا مناص له من الوقوع في الخلل في الأقوال والأفعال، ولا مهرب له من التناقض والنقص في أفكاره وأعماله، ولا

خلاص له من تبعات النقص البشري الراسخ في نجار هذه الكائن.

فإذا نظرنا إلى هذا الفرق الهائل بين حقيقة الألوهية وماهية النفس البشرية تبين البون الشاسع فيما يصدر عنهما من أحكام وتشريعات.

وهذا الفرق بينهما أشد وضوحاً من الفرق بين الإنسان والنملة، والله سبحانه وتعالى ودينه وشريعته أجل وأعظم من هذه المقارنة، وإنّما ذكرت ذلك ـ وأستغفر الله ـ لأجل بيان قاعدة التصور عند المؤمنين الحاكمين بشرع الله، وقاعدة التصور عند العلمانيين المشركين في الحكم، باتباع أحكام غير الله ـ جلَّ وعلا ـ، وتأليه الإنسان ورفعه عن درجته البشرية، ونعته بالأوصاف الطاغية غير الحقيقة.

الرابع: أن الإنسان ـ بحكم كونه مخلوقاً لله تعالى ـ محكوم بهذه الطبيعة فهو ليس كلياً ولا مطلقاً، وليس أزلياً ولا أبدياً في هذه الدنيا، ومن ثم فإن إدراكه لابد أن يكون محدوداً بما تحده به طبيعته، ثم هو محدود في أعماله وأحكامه وتصرفاته بحكم هذه الطبيعة[1].

وقد وُهب من الإدراك ماياناسب عبوديته لله تعالى، ولم يوهب القدرة على إدراك كل الأمور، لا في ما هيتها ولا في إدراك كيفيتها، وإن كان يدرك إمكانها، وذلك أن حدود الطبيعة البشرية تقصر عند هذه الحدود، فكيف يُجعل الإنسان مشرعاً مع الله أو من دون الله وهو محصور في إطار هذه الحدود وحيّز هذه الضرورات؟ ومع ذلك كله فالإدراك البشري مدعو للتدبر والتفكر، والنظر والاعتبار، والتكيف والتأثر، والتطبيق في إطار عبوديته، وفي دائرة كينونته الخَلْقية، لا في دائرة الإلحاد المظلمة، ولا في إطار التأله الكاذب الظالم؛ الكاذب لأنه متعدٍ على الحقيقة الإنسانية، والظالم لأنه متجاوز الحدود البشرية.

ولايعني هذا أن دين الإسلام يقضي على الإدراك البشري أو يدعوه إلى الهبوط والضعف، ولكن هذا التوصيف الحقيقي للإنسان هو الذي

---

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي: ص ٤٧.

يجعله يسير في حياته العلمية والعملية في خط تصوري واضح المعالم، وما من دين احتفل بالإدراك البشري، وإيقاظه وتحريكه، وتحريره، وتقويم منهجه في النظر، وإطلاقه من قيود الوهم والخرافة، والكهانة والغيبيات الباطلة، وصيانته في الوقت ذاته من التبدد في غير مجاله، ومن الخبط في التيه بلا دليل.. ما من دين فعل ذلك كما فعله الإسلام، الذي وجه النظر إلى سنن الله في الأنفس والآفاق وأوضح بجلاء طبيعة هذا الكون وطبيعة هذا الإنسان، وبين خصائصه وطاقاته المذخورة، ووسع دائرة إداراكاته توسيعاً لايوجد في مثله[1].

الخامس: أن من خصائص الإسلام أنه «رباني» المصدر والمنهج والغاية والوجهة، فهو وحي من الله تعالى، يحتوي على الكمال، لم يأت نتيجة لإرادة فرد أو أسرة أو طريقة أو حزب أو شعب، وإنّما نتيجة لإرادة الله الحكيم العليم، المتصف بصفات الكمال والجمال والجلال، الذي أراد للبشرية الهدى والنور، والبيان، والشفاء، والرحمة والخير، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[3]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[5].

فهذا الدين يقوم على عقيدة ربانية وعبادات ربانية وتشريعات ربانية، وهو المنهج الوحيد في العالم الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة

---

(١) انظر: المصدر السابق: ص ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) الآية ١٧٤ من سورة النساء.

(٣) الآية ٥٧ من سورة يونس.

(٤) الآية ٨٩ من سورة النحل.

(٥) الآية ١ من سورة إبراهيم.

ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر، وأهواء البشر وانحرافات البشر.

إن الإسلام منهج رباني في عقائده وعباداته وآدابه وأخلاقه وشرائعه ونظمه، كلها ربانية إلهية في كل أحوالها.

والتشريعات ـ وهي مجال حديثنا هنا ـ تشريعات تقوم على هذا الأساس الإلهي، لضبط الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والدولية.

وهذه الميزة الفريدة للتشريع الإسلامي هي التي يتميز بها على ما سواه من التشريعات القديمة والحديثة، ذلك أنه التشريع الوحيد الذي أساسه وحي الله وكلماته التامة المبرأة من الخطأ والضلال، المنزهة عن الظلم ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾[1].

وبهذا تقرر في الأصول الإسلامية أن المشرع الوحيد هو الله تعالى وحده؛ دون غيره، فهو الذي يأمر وينهي، ويحلل ويحرم، ويكلف ويلزم، بمقتضى ربوبيته وألوهيته، وملكه لخلقه أجمعين، فهو رب الناس، ملك الناس، إله الناس، له الخلق والأمر.

وكما أن الإسلام رباني المصدر والمنهج، فهو رباني الغاية والمنهج.

فعلى كثرة الغايات والأهداف في الإسلام، إلاّ أننا ـ عند التأمل ـ نجد أن هذه الأهداف الكثيرة تصب في الهدف الأكبر، وهو: مرضاة الله وحسن مثوبته، فكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد إنّما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبداً خالصاً لله وحده، لا لأحد معه أو سواه، ولهذا كان روح الإسلام، وجوهره هو «التوحيد»، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا

(١) الآيتان ١١٤، ١١٥ من سورة الأنعام.

شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾[1].

إن الإنسان خلق أصلاً ليكون عابداً لله تعالى ولم يخلق لمجرد أن يعيش، والمؤمن يعيش ليعبد ربه ويطبق حكمه متطلعاً إلى رضوانه، أمَّا الكافر فإنه يعيش ليأكل ويأكل ليعيش، ولايجد في عقيدته الكافرة ـ قديمة كانت أو حديثة ـ أي جواب صحيح شافٍ لقضية خلقه وحياته وموته.

ولقد قرر القرآن هذه الحقيقة بوضوح حين ذكر الغاية من خلق الجن والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2] بل بين القرآن أن خلق العالم كله علوية وسفلية، لم تكن الغاية منه إلاّ أن يعرف الناس ربهم ويعبدوه، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[3].

ومن ثمرات هذه الربانية:

١ ـ أن يعرف الإنسان غاية وجوده، وحكمة حياته، ووظيفة في هذه الحياة بعيداً عن التخبط والتيه والضلال، والعيش في عمايات الغايات الهابطة، والضلالات الساقطة.

٢ ـ أن الإنسان يهتدي إلى فطرته التي فطره الله عليها، والتي تطلب الإيمان بالله تعالى، ولايعوضها شيء غيره ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾[4].

وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والضياع والتمزق حتى تؤمن بالله

---

(١) الآيات ١٦١ ـ ١٦٤ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

(٣) الآية ١٢ من سورة الطلاق.

(٤) الآية ٣٠ من سورة الروم.

وتتوجه إليه وتطبق منهجه في الحياة، هنا فقط ستسلم من غوائل التمزق، وتستريح من تعب التيه، وترتوي من ظمأ، وتأمن من خوف، وتحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخبط والاطمئنان بعد القلق.

٣ ـ وحين يستقر في أعماق النفس التحرر من التمزق والضياع وتسلم من الصراع الداخلي والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات وشتى الاتجاهات، وذلك بعبادة الله وحده واتباع شريعته، حين يفعل ذلك يتحرر، نعم يتحرر من العبوديات الكثيرة الخالبة، يتحرر من العبودية الأنانية، وشهوات نفسه، ولذات حسه، ومن الخضوع والاستسلام للمطالب المادية والرغبات الشخصية، ويخلع عن رقبته نير العبودية للهوى والشهوات، ويسلم من الهلكة في شعاب الغايات الهابطة والمقاصد البهيمية. والعبودية أنواع وألوان، وأشدها خطراً، وأبعدها أثراً هو خضوع الإنسان لإنسان مثله، يحل له مايشاء، ويحرم عليه ما شاء كيف شاء، ويأمره بما أراد فيأتمر، وينهاه عما يريد فينتهي، يضع له «نظام حياة» فلايسعه إلاّ الخضوع والإذعان والاستسلام له.

ولما كان الإسلام دعوة تحرير شامل للإنسان من العبودية لغير الله، وجدناه، يوجهه نداءه إلى البشرية ليتحرروا من عبودية النظم والتشريعات الجاهلية، ليفردوا الله وحده بالانقياد لشرعه وحكمه مثلما ينقادوا له في عبادته.

٤ ـ ومن مزايا هذه الربانية وآثارها عصمة الإنسان والإنسانية جميعا من الضياع في أودية المناهج المختلفة والأنظمة المتشاكة. فالبشر ـ بطبيعتهم ـ يتناقضون، ويختلفون من عصر إلى عصر، ومن قطر إلى قطر، بل يتناقضون في العصر الواحد والقطر الواحد والبيئة الواحدة والأمة الواحدة.

بل الإنسان الواحد يتغير بل يتناقض في فترات حياته ما بين مرحلة الشباب إلى الكهولة، وما بين حالات فقره وغناه، وفرحه وترحه، وعقله متأثر بالزمان والمكان والأوضاع والأحوال، ولذلك لايبرأ من التناقض والاختلاف في آرائه وأقواله وأحواله، وبالتالي لايُمكن أن تبرأ مناهجه في

التصور والاعتقاد، أو العمل والسلوك من هذا التناقض والاختلاف والنقص.

ومن مظاهر هذا التناقض ما نراه ونلمس اليوم في كل الأنظمة البشرية والدينية الوضعية، والمحرفة، من أفراط وتفريط، كما هو واضح من موقفها من الروحية والمادية، والغيب والشهادة، والفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، والتطور والثبات، وغير ذلك من المتقابلات، التي وقفت فيها المذاهب والنظم الوضعية والمحرفة موقف الغمط والجور، وسبب ذلك ما في الطبع البشري من قصور، وما يتأثر به التفكير الإنساني من أوضاع وأحوال وخلفيات.

٥ ـ البراءة من التحيز والهوى، والجور والعدوان، والخلاص من تأثيرات الميولات الخاصة، والتوجهات البشرية المتلونة والميولات الإنسانية المتنوعة.

والمتأمل في المناهج والتشريعات البشرية ـ الوضعية، أو المحرفة عن أديان أصلها صحيح ـ يرى أنه لايسلم منهج منها من التأثر بالأهواء البشرية، المتحيزة إلى جانب دون جانب، أو فريق دون فريق.

أمَّا نظام الإسلام فهو صادر عن الله تعالى رب الناس أجمعين، العالِم بما يصلحهم وما يفسدهم، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ لايتأثر بالزمان والمكان؛ لأنه خالقهما، ولا تحكمه ـ سبحانه ـ الأهواء والنزعات؛ لأنه المنزه عن الأهواء والنزعات، ولايتحيز ـ جلَّ وعلا ـ لجنس ولا لون ولا طائفة؛ لأنه رب الجميع، وكلهم عبيده.

ومن ثم اعتبر القرآن العظيم ما عدا شريعة الله وحكمه «أهواء» يجب الحذر منها ومن أصحابها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[1]، ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[2].

---

(١) الآية ١٨ من سورة الجاثية.

(٢) الآية ٤٩ من سورة المائدة.

٦ ـ ومن ثمرات هذه الربانية أنها تضفي على النظام المنبثق منها، قدسية واحتراماً لايظفر بهما أي نظام، أو منهج من صنع البشر.

ومنشأ هذا الاحترام والتقديس اعتقاد المؤمن بكمال الله تعالى وتنزهه عن كل عيب ونقص، في خلقه وأمره، فهو الحكيم فيما خلق وقدر، والحكيم فيما أمر ونهى، والعالم بكل شيء.

ويتبع هذا الاحترام والتقديس لشرع الله، الرضا بكل تعاليم هذا النظام وأحكامه وتقبله بقبول حسن، والانقياد له بطواعية تامة وانشراح صدر واقتناع عقل وطمأنينة قلب، مما يؤدي إلى المسارعة إلى التنفيذ، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، دون تلكؤ أو تكاسل، أو تحايل على الهرب من تكاليف النظام والتزاماته[1].

السادس: من خصائص الإسلام وميزاته التي تميز بها على كل ما عرفه الناس من فلسفات ومذاهب، «الشمول».

فالوجود كله بنشأته ابتداء، وحركته بعد نشأته، وكل تحورٍ وتغير خاضع لإرادة الله وخلقه وعلمه، ومن هنا تبدأ خاصية الشمول في الكون والحياة والإنسان، إذ هي كلها مخلوقة لله خاضعة لمشيئته المطلقة.

ثم الوجود كله في سلك العبودية القهرية لله تعالى.

ومن هنا جاء الإسلام ليعرف الناس بطبيعة الكون الذي يعيشون فيه وارتباطه بخالقه، ودلالته على خالقه، جاء ليحدث عن الحياة والأحياء ومصدر الحياة فيهما، وجاء ليعرف بالإنسان وحقيقته ومصدر نشأته وغاية وجوده ومركزه في الكون، وخصائصه، ويرد الكينونة الإنسانية إلى مصدر واحد تتلقى منه التصورات والمفاهيم والقيم والموازين والشرائع؛ ذلك لأن

---

(١) كل ما ذكر هنا عن الربانية وثمراتها مقتبس من كتاب الخصائص العامة للإسلام ليوسف القرضاوي ٩ ـ ٥٥. وانظر: خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب: ص ٤٣ ـ ٧١، ومجموعة رسائل الإمام حسن البنا: ص ١٠٩.

الكون كله وأمر الحياة والإحياء وأمر الإنسان والأشياء تعود كلها إلى أمر واحد إلى إرادة من له الخلق والأمر[1].

إن شمول الإسلام ينطلق من هذه القاعدة، ليكون في حقيقته وذاته متضمناً المعاني والأبعاد التي تقصر دون بعضها سائر النظم والمذاهب والفلسفات.

إنه شمول يستوعب الزمن كله والحياة كلها وكيان الإنسان كله.

(إن الإسلام كدين عام انتظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان)[2]، (إنه دين ومجتمع، ومسجد ودولة، ودنيا وآخرة)[3]، (إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة)[4].

وإذا تأملنا حقيقة الشمول في الإسلام ورسالته وجدناها: رسالة الزمن كله، ليست موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص، رسالة المستقبل المديد، ورسالة الماضي البعيد، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[5]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[6].

ورسالة العالم كله، ليست محدودة بعصر ولا جيل، ولابمكان ولا بأمة ولابشعب ولا بطبقة، بل هي الرسالة الشاملة التي تخاطب كل الأمم وكل الأجناس وكل الشعوب وكل الطبقات وكل الأرض ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي

---

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي: ص ٩١ ـ ١١٣.
(٢) مجموعة رسائل حسن البنا: ص ١٥٥.
(٣) المصدر السابق: ص ١٩٨.
(٤) الخصائص العامة للإسلام: ص ١٠٥، والقول لحسن البنا.
(٥) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء.
(٦) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[2].

ورسالة الإنسان كله، روحه وعقله، وجسمه، وضميره وإرادته ووجدانه، وكل أعماله وعلاقاته.

ورسالة للإنسان في كل أطوار حياته، ورسالة للإنسان في كل مجالات حياته، وكل ميادين نشاطه البشري، منفرداً كان الإنسان أو مجتمعاً مع غيره، عاملاً لتقوية روحه، أو لتغذية جسده، ساعياً في شأن آخرته أو شأن دنياه.

وشمول هذه الرسالة للنشاط البشري لايقتصر على جانب دون جانب، فالإسلام لايدع الإنسان وحده بدون هداية من الله في أي طريق يسلكه، وفي أي نشاط يقوم به: مادياً كان أو روحياً، فردياً أو اجتماعياً، فكرياً أو عملياً، دينياً أو سياسياً، اقتصادياً أو أخلاقياً.

ومن شمول الإسلام: شمول تعاليمه وأحكامه، يتجلى ذلك في شمول العقيدة التي تفسر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود، وتجيب على الأسئلة التي تشغل الفكر الإنساني، في قضية الألوهية وقضية الخلق والمصير، وقضية النبوة والبعث، وعالم الغيب والشهادة.

والشمول في عقيدة الإسلام يتعلق بمصدرها وأدلتها وأحكامها ومتعلقاتها.

فلايصح في عقيدة الإسلام أن يقول إنسان مّا: أنا مؤمن بالإسلام في شأن الشعائر والعبادات أو ما يسمى بالأحوال الشخصية، ولكن لا أؤمن بما جاء به في شأن النظام والتشريع.

فهذا رد للإسلام، وتناقض صارخ مع شموله، وكما أن عقيدة الإسلام شاملة فكذلك عباداته شاملة تستوعب الكيان البشري، فالمسلم لا يعبد الله

---

(١) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١ من سورة الفرقان.

بلسانه فحسب، أو ببدنه فقط أو يقلبه لا غير، أو بعقله مجرداً، أو بحواسه وحدها، بل يعبد الله بهذه كلها، ويعبده كذلك بماله وسلطانه وسائر أعماله ومناشطه، ويعبده ـ على وجه الخصوص في هذا المقام ـ بتطبيقه لشرع الله وإنفاذه لأحكام الله، وسيره على منهج الله في الحياة.

ومن شمول الإسلام شموله في ميدان الأخلاق والفضائل التي لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية: روحية أو جسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية، الارسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع.

ومن شمول الإسلام أن التشريع فيه تشريع شامل، لايشرع للفرد دون الأسرة، ولا للأسرة دون المجتمع، ولا للمجتمع منفرداً عن غيره من المجتمعات.

فهو تشريع يشمل التشريع للفرد في تعبده وصلته بربه «العبادات» والتشريع له في سلوكه الخاص والعام «الحلال والحرام».

ويشمل التشريع ما يتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقة وميراث وولاية وغير ذلك، وهو مايطلق عليه في هذا العصر «الأحوال الشخصية».

ويشمل التشريع للمجتمع في علاقاته المدنية والتجارية، وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع، مثل البيوع والإجارات، والقروض والمداينات والرهن والحوالة، والكفالة والضمان وغيرها.

ويشمل التشريع مايتصل بالجرائم وعقوباتها المحدودة شرعاً كالحدود أو المقدرة تعزيراً، وهو مايطلق عليه في هذا العصر «التشريع الجنائي» أو «الجزائي» أو «قانون العقوبات».

ويشمل مايتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين، وواجب المحكومين نحو الحكام، وتنظيم الصلة بين الطرفين، وهو ما عرف في عرف الفقهاء بأحكام الإمامة، والسياسة الشرعية، والأحكام السلطانية، وهو مايعرف في عصرنا بـ«التشريع الدستوري» أو «الإداري».

ويشمل تشريع الإسلام ماينظم العلاقات الدولية في السلم والحرب بين المسلمين وغيرهم، مما عنيت به كتب «السير» و«الجهاد» في فقهنا الإسلامي، وهو مايعرف الآن بـ«القانون الدولي».

ومن هنا لاتوجد ناحية من نواحي الحياة إلاّ دخل فيها التشريع الإسلامي آمراً أو ناهياً، أو مخيراً.

ومن شمول الإسلام: شمول الالتزام به كله في شموله وعمومه وسعته من غير تبعيض، فلايجوز الأخذ بجانب من تعاليمه وأحكامه وطرح جانب آخر، قصداً أو إهمالاً؛ لأن الإسلام كل لايتجزأ فلايصح في الإسلام أخذ جانب العقيدة والإيمان من تعاليمه وإغفال جانب العبادة أو الأخلاق، كما لايجوز الأخذ بالجانبين وترك جانب الشريعة التي نظم الله بها حياة الخلق، وأنزل بها الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط[1].

السابع: أن الرضا بالإسلام ديناً ليس مجرد دعوى أو شعار يرفعه الإنسان، بل هو التقيد والالتزام بكل ماجاء به النبي ﷺ من عقائد وشرائع وشعائر وأخلاق، وهذه كلها وسائر فروعها ولوازمها هي الدين، وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

والرضا بالإسلام ديناً هو الرضا بجميع ماجاء به النبي ﷺ، قال صاحب المدارج ـ رحمه الله ـ: (وأمّا الرضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى، رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها)[3].

الثامن: أن الرضا بمحمد نبياً أصل من أصول الإسلام، والجزء الثاني من كلمة التوحيد المتضمنة للشهادة لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة.

---

(١) كل ما ذكر عن خاصية الشمول في الإسلام مقتبس من الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي: ص ١٠٥ ـ ١٢٥.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٧٣.

وحقيقة الرضا بنبوة محمد ﷺ تتمثل في أتباعه اتباعاً كاملاً، وذلك بتصديقه فيما أخبر، وأتباعه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه.

ومن ذلك اتباع شريعته الحنيفية السمحة: (وأمَّا الرضي بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلاّ من مواقع كلماته ولا يحاكم إلاّ إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكامه ظاهرة وباطنة، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلاّ بحكمه[1].

ولهذا أقسم الله تعالى بربوبيته أنه لا يصح إيمان أحد حتى يحكّم رسول الله ﷺ ثم يرضى بحكمه ولايبقى نفسه هو أدنى تحرج أو تردد، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[2].

فمن رضي بمحمد ﷺ نبياً فلا بد أن يتبع الشريعة التي جاء بها ويسير على المنهج الذي رسمه، ويطبق النظام الذي سار عليه وطبقه وورّثه، ومن لم يكن كذلك فليس راضياً بنبوة محمد ﷺ وإن ادعى ذلك.

التاسع: من أصول الإسلام وقواعده الأساسية أن الحاكمية والسيادة المطلقة هي لله وحده، ولشريعته النقية، ودينه الحنيف، الذي له وحده الحكم الأعلى والحجة القاطعة.

ومن لم يعتقد أن السيادة العليا لشرع الله دون غيره، فإن انتسابه إلى الإسلام دعوى بلا برهان، بل البرهان على خلاف ذلك.

وكل من اعتقد أن هناك سيادة عليا لغير الله ودينه ونبيه فهو منازع للرب تعالى، ومنحرف عن دينه، ومعاند لرسوله ﷺ، وداخل من أوسع أبواب الردة.

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) الآية ٦٥ من سورة النساء.

العاشر: أن التوحيد هو عقيدة المسلمين وشعارهم في مقابل الوثنية والإلحاد والتثليث وسائر أنواع الكفر.

وهذا التوحيد يشمل الاعتقاد والعمل، أو التوحيد العلمي النظري، والتوحيد الطلبي الإرادي، والقسم الثاني هو مايعرف بتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وتتحقق بكمال الخضوع لله مع كمال المحبة له، وتصح بالإخلاص لله والمتابعة لشرعه.

وهي أنواع عديدة منها العبادة الاعتقادية كاعتقاد أن الله تعالى هو الخالق الرب الواحد الذي له الأسماء الحسنى والصفات الحسنى، ومنها العبادة القلبية كالخوف والرجاء والخشوع والخشية، ومنها العبادة القولية كالدعاء والذكر والاستعاذة والتلاوة، ومنها العبادة العملية كالصلاة والحج، ومنها العبادة المالية كالزكاة والصدقة، ومن العبادات العملية: الحكم بما أنزل الله والتشريع بما شرع الله، وهذا يشمل العبادة الاعتقادية والقولية والعملية.

فمن حكم أو خضع ـ اختياراً ـ لغير شريعة الله، واستسلم ـ طوعاً ـ لتشريعات أهل الأرض مستحسناً لها، فلا ريب أنه مخل بتوحيد الألوهية، مناقض لملة محمد ﷺ، ولاينتفع مع استحسانه وقبوله وتنفيذه لمذاهب الطاغوت بشيء من أعماله[1]؛ لأن ذلك من اتخاذ العبد أنداداً من دون الله، يساويهم برب العالمين، ويخضع لأحكامهم، ويتبع تشريعاتهم.

(ولا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه)[2]. فهذا لاريب في أنه مناقض للإيمان ولتوحيد الرحمن ـ جلَّ وعلا ـ، وقد عد أهل العلم من نواقض الإيمان (من اعتقد

---

(١) انظر: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن الدوسري: ص ٣٠.

(٢) كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: ص ١٧١ من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول.

أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر)[1]، (ومن اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لايصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين أو أن يُحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، . . . ومن يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لايناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرها، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرم الله، مما هو معلوم بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين)[2].

والخلاصة أن التوحيد لايصح حتى يفرد الله وحده بالحاكمية العليا والسيادة المطلقة، كما يفرد بالعبادة وحده دون سواه، ولايكون التوحيد توحيداً حتى يكون لدينه الحكم الأعلى على أي حكم، وحتى يصبح المرجع الوحيد والنهائي عند التنازع، وحتى يكون هو وحده الآمر الناهي، وحتى يكون التحليل والتحريم والجزاء مأخوذاً من الكتاب والسنة ـ فقط ـ دون غيرها، من الدساتير والبرلمانات وإرادة الشعب، وغير ذلك.

فمن أراد أن يكون مسلماً موحداً فعليه أن يلتزم بالتوحيد جملة وعلى الغيب، ويطبق مقتضاه برضا وطاعة وانقياد من غير تردد ولا حرج، ومن أعظم مقتضيات هذا التوحيد الالتزام بالأحكام الشرعية واعتقاد سيادتها المطلقة على كل ما عداها، فإن عقد الإسلام لايثبت إلاّ على قدم التصديق والانقياد.

الحادي عشر: أن الإيمان، لايتحقق في واقع الإنسان بمجرد التسمي

---

(١) نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: ص ٣٨٦ من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول.

(٢) العقيدة الصحيحة ومايضادها للشيخ عبدالعزيز بن باز: ص ٢٨.

أو التشهي أو الانتساب المجرد، بل هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

وهذا لايقوم إلاّ على أصل تصديق الخبر والانقياد للأمر، فمن لم يتحقق في قلبه التصديق والانقياد فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد، تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له، والكفر هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر[1].

ولذلك أنكر الله تعالى على من ادعى الإيمان بما أنزل على رسوله وعلى الرسل قبله من أحكام وشرائع، ثم يذهب بعد هذا الادعاء إلى الطواغيت يتحاكم إليهم، وبين الله تعالى أن من يفعل ذلك ليس إلاّ من المنافقين الذين يصدون عن الله وعن دينه وشريعته، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾[2].

(فإن قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان، فإنه لايجتمع التحاكم إلى غير ماجاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر، و«الطاغوت» مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ، أو حاكم إلى غير ماجاء به النبي ﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه، وذلك أنه من حد كل أحد أن يكون حاكماً بما جاء به النبي ﷺ فقط لا بخلافه، كما أنه

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٧/ ١١٧، ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ٢٩٦، ٣٨٨، ٣٩٧، ٣٩٨، ٦٤٤.

(٢) الآيتان ٦٠ ـ ٦١ من سورة النساء.

من حد كل أحد أن يحاكم إلى ماجاء به النبي ﷺ، فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكماً أو تحكيماً، فصار بذلك طاغوتاً لتجاوزه حده.

وتأمل قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ تعرف منه معاندة القانونين وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعاً والذي تعبدوا به هو الكفر بالطاغوت لاتحكيمه ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[1].

ثم تأمل قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ كيف دل على أن ذلك ضلال وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى)[2].

فلا ريب عند أهل العلم والإيمان أن تحكيم شريعة الله وجعل السيادة العليا لها وحدها شرط للإيمان كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[3].

الثاني عشر: أن من معنى «لا إله إلاّ الله» نفي استحقاق العبادة لكل ما سوى الله ـ جلَّ وعلا ـ، وإثباتها لله تعالى وحده دون سواه، ولاريب أن اتباع حكم الله وشريعته عبادة لله تعالى، كما أن صرف ذلك لغير الله شرك مع الله تعالى.

أن «لا إله إلاّ الله» ليست مجرد كلمة يفوه بها اللسان بل هي عقيدة راسخة، وشريعة نافذة، ومنهاج حياة شامل متكامل.

أن من أصل معنى «لا إله إلاّ الله» أن يتحاكم الناس إلى شرع الله الإله الحق المبين، وأن يطرحوا شرائع الآلهة الباطلة والأرباب المزعومة،

---

(١) الآية ٥٩ من سورة البقرة.

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢/٢٨٦.

(٣) الآية ٦٥ من سورة النساء.

وإذا كان من المعلوم أن «لا إله إلاّ الله» تعني عبادة الله وحده لا شريك له والإقرار بذلك، فإنه من المعلوم ضرورة أن (تحكيم الشرع وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه)[1].

ومن شروط «لا إله إلاّ الله»: الانقياد المنافي للترك، ومن ذلك الانقياد لحكم الله تعالى واستسلام لجميع شرعه الوارد في الكتاب والسنة، فمن لم يفعل ذلك فقد أخل بهذا الشرط، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2].

ومن شروطها: القبول المنافي للرد، وذلك بقبول كلمة التوحيد قبولاً كاملاً، وقبول جميع مايلزم من مدلولها ومقتضاها، بحيث يقبل الناطق بها جميع ما ورد عن الله ورسوله دون رد، كما قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[3].

وقال تعالى في شأن الذين لم يقبلوا كلمة التوحيد، وردوها أو ردوا لوازمها ومقتضياتها: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) المصدر السابق ١٢/١٥١.

(٢) الآيتان ٥١، ٥٢ من سورة النور.

(٣) الآية ٦٥ من سورة النساء.

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

ومن شروط «لا إله إلاّ الله»: الإخلاص المنافي للشرك، فمن حكم بغير شرع الله تعالى فقد ناقض الإخلاص.

ومن شروطها: الصدق المنافي للنفاق والكذب والتكذيب، وذلك ببذل الجهد في طاعة الله وامتثال أوامره، وحفظ حدوده والغيرة على حرماته والغضب له، والانتصار لدينه دون تهاون أو فتور، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[2].

ومن شروطها: المحبة المنافية للبغض، وهذا المحبة هي المقرونة بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، وحصر التأله لله بالقيام بجميع شروط هذه المحبة ولوازمها، وذلك لايتم إلاّ بالتوجه الكامل إلى الله تعالى، وحصر العبادة والطاعة له سبحانه، وذلك بعبادته وحده دون سواه، واتباع شريعته وحده دون سواه.

فهذه كلمة «لا إله إلاّ الله» الركن الأول من أركان الإسلام، والقضية الكبرى في هذا الدين التي دار القرآن كله في خبره وأمره ووعده ووعيده وقصصه عليها، فالحديث عنها ليس حديثاً لفترة ثم ينتقل إلى غيرها، وإنّما هي حديث مؤكد وبرهان ثابت يذكر ثم يذكر ثم ينتقل به ومعه إلى غيره، وهي دعوة الرسل جميعاً، وهي نقيض الجاهلية في كل التاريخ، ولذلك لم يتغير موقف الجاهلية من «لا إله إلاّ الله» خلال التاريخ البشري كله، بل كان موقفها موقف الرفض والصد والإعراض بل والمحاربة في سبيل إزالتها، ولم يكن رفض الجاهلية لهذه الكلمة رفضاً لألفاظها وأحرفها فهي أهون عليهم من كثير من الكلام، ولكن رفضهم كان لمعناها ومدلولها ومقتضياتها ولوازمها.

---

(١) الآيات ٢٢ ـ ٣٧ من سورة الصافات.

(٢) الآيات ١ ـ ٣ من سورة العنكبوت.

ولذلك كان الشرك يتمثل في اعتقاد آلهة أخرى غير الله، يتوجه إليها الإنسان بالعبادة، أو يتوجه بطلب التحليل والتحريم من دون الله.

وثبوت صفة الإسلام لأي إنسان في الحياة الدنيا لايأتي بمجرد التلفظ بكلمة التوحيد ـ وإن عصمت دمه وماله، وحكم له ظاهراً بالإسلام[1] ـ بل يكون منوطاً بالالتزام الحقيقي بـ«لا إله إلاّ الله» وتحقيق شروطها، وتطبيق مقتضياتها.

ولم يحدث في تاريخ الإسلام خلال الثلاثة عشر قرناً الماضية التي كانت تطبق فيها أحكام الإسلام، وتنفذ فيها شريعة الله، أن أحداً من الناس، قال لم أكن أعلم أن للإسلام لوازم عملية، أو أن لكلمة التوحيد مقتضيات عبادية تشريعية، ولو كان أجهل الناس بأحكام الفروع، أو أكثرهم وقوعاً في المعاصي والذنوب، لقد كانت هذه القضية مسلمة لا جدال فيها، ومبرهنة لا مراء فيها عند جميع المسلمين حكاماً ومحكومين، كانوا جميعاً يعلمون أنه ليس هناك إسلام بلا تكاليف، ولا توحيد بلا حكم، ولا إيمان بلا تشريع، وكان أهل العلم والإيمان يقررون بأنه (ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلاّ الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه كما كان عباد الأصنام يقرون بذلك، وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله والخضوع له والذلة له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها)[2].

الثالث عشر: أن من نواقض الإسلام ونواقض التوحيد «الحكم بغير ما أنزل الله تعالى» وهو تفضيل أو مساواة حكم غير الله، بحكم الله تعالى في أي أمر من الأمور؛ كالهوى والرغبة الدنيوية والأعراف القبلية والقوانين الوضعية، والمقررات العقلية المخالفة للشرع وغير ذلك.

---

(١) ما لم يأت بناقض اعتقادي أو قولي أو عملي.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٣٠.

وهو على أقسام:

الأول: أن يشرع حكم غير الله، ويستبدل هذا بحكم الله، ويحكم بغير ما أنزل الله، وهو عالم بحكم الله في ذلك، ولكنه يرى أن الحكم المخالف له أولى وأنفع للعباد من حكم الله، أو أنه مساوٍ لحكم الله، أو أن العدول عن حكم الله إلى غيره جائز، فهذا كافر كفراً مخرجاً من الملة، ولو صلى وصام وحج وزكى وفعل كل أفعال الإسلام فإنها لاتنفعه بل هي حابطة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[1].

ويلحق بهذا من يعتقد أن أحكام الله وشريعته رجعية أو متخلفة أو يحتقرها، أو يسخر منها أو من بعضها، أو يصفها أو بعضها بأنها بشعة أو غير ملائمة للعصر، أو أنها سبب للتخلف وعائق عن التقديم، أو يدعي أنه لا حكم في الإسلام أصلاً، أو يقول بأن إخضاع الدنيا للدين مشكلة، أو أن أحكام الشريعة بشرية من صنع البشر أو عادات وتقاليد الصحابة، أو يعتقد أن الدين شيء شخصي فقط، أو يعتقد أنه لايُمكن اعتماد الإسلام نظاماً للحكم، أو يرى وجوب تفسيره تفسيراً عصرياً علمانياً أو مادياً.

وكذلك يكفر من يضع القوانين ويشرّعها للناس، ويلزمهم بالتحاكم إليها؛ لأنه إنّما شرع ذلك لاعتقاده أنها أصلح من الإسلام وأنفع للعباد، وهذا هو أحد أظهر أنواع الكفر في هذا العصر.

الثاني: أن يستبدل بحكم الله تعالى حكماً مخالفاً له في قضية معينة دون أن يجعل ذلك قانوناً يجب التحاكم إليه، فله ثلاث حالات:

الأولى: أن يفعل ذلك عالماً بحكم الله معتقداً أن ما خالفه أولى منه وأنفع للعباد أو أنه مساوٍ له أو أن العدول عن حكم الله إلى غيره جائز، فهذا كافر كفراً مخرجاً من الملة.

الثانية: أن يفعل ذلك عالماً بحكم الله معتقداً أنه أولى وأنفع لكن خالفه

---

(١) الآية ٢٨ من سورة محمد.

بقصد الإضرار بالمحكوم أو نفع المحكوم له، فهذا ظالم وليس بكافر.

الثالثة: أن يكون كذلك ولكن خالفه لهوى في نفسه أو مصلحة تعود إليه، فهذا فاسق وليس بكافر[1].

ولا مناص من هذه الفواقر العظيمة ولا مخرج من هذه القواصم إلاّ بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل أمر، والتحاكم إلى شرع الله بانشراح صدر، وتسليم وقبول كاملين، وهو فرض من فروض الدين، لايتم إيمان المسلم إلاّ به اعتقاداً وعملاً، وأركان الإيمان بهذا الفرض العظيمة ثلاثة:

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى شرع الله تعالى دون سواه.

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه ولايكون في النفس حرج أو ضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسليم التام بقبول ما حكم به الشرع وتنفيذه بدون توانٍ أو انحراف.

ولابد من البيان هنا أن المراد بالحكم بما أنزل الله عند علماء الإسلام ودعاته، والمتبعين له هو الاستمساك بكل شرع الله في كل قضية علمية أو عملية.

ويُمكن القول بأن له معنيين:

أحدهما: عام، وهو التحاكم إلى الوحي في كل أمر من الأمور العلمية والعملية في الاعتقاد أو الاستنباط الفقهي، أو أمور التعامل مع الآخرين، وغير ذلك.

الثاني: خاص، ويراد به تطبيق شريعة الله في سياسة الدول ودساتيرها وأنظمتها، وهذا الذي وقع فيه الشرك الكبير في هذا العصر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله[2].

---

(١) انظر: هذه الأحكام في المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ١/ ٣٣ ـ ٣٩، ٣/ ١٥.

(٢) انظر في قضية الحكم بما أنزل الله تعالى، وفرضيتها اللازمة، وصلتها بالتوحيد وأصول=

. . . . . .

= الدين، وحرمة الخروج على ذلك، وكفر من لم يحكم بما أنزل الله تعالى والرد على شبه العلمانيين، في الكتب التالية:

١ ـ الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكّم السنة والكتاب: للعلامة حمد بن معمر.

٢ ـ تحكيم القوانين: للعلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٣ ـ فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم: جـ ١٢ كله وخاصة الصفحات ص ٢٤٧ ـ ٣٣١.

٤ ـ الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: للدكتور عمر الأشقر، كل الكتاب.

٥ ـ حكم الإسلام في الاشتراكية: لعبدالعزيز البدري.

٦ ـ الإسلام وأوضاعنا السياسية: لعبدالقادر عودة، كل الكتاب.

٧ ـ منهاج الإسلام في الحكم: لمحمد أسد، كل الكتاب.

٨ ـ الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه رد علمي على فؤاد زكريا وجماعة العلمانيين: ليوسف القرضاوي.

٩ ـ المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة: للقرضاوي.

١٠ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: للقرضاوي.

١١ ـ الخصائص العامة للإسلام: للقرضاوي.

١٢ ـ الحل الإسلامي، فريضة وضرورة: للقرضاوي.

١٣ ـ مجموعة رسائل الإمام حسن البنا: ص ٥٥ ـ ٧٨، ١٨٩ ـ ٢٠٨، ٢٠٩ ـ ٢٤٥.

١٤ ـ شريعة الله حاكمة ليس بالحدود وحدها: لعلي جريشة.

١٥ ـ معركة المصحف: لمحمد الغزالي: ص ١٥ ـ ٤٦، ٥٣ ـ ١١٢، ٢٢٩ ـ ٢٧٩.

١٦ ـ الحكومة الإسلامية: لأبي الأعلى المودودي، كل الكتاب.

١٧ ـ تهافت العلمانية: لعماد الدين خليل، كل الكتاب.

١٨ ـ خصائص التصور الإسلامي: لسيد قطب، كل الكتاب.

١٩ ـ مقومات التصور الإسلامي: لسيد قطب، كل الكتاب.

٢٠ ـ جاهلية القرآن العشرين: لمحمد قطب: ص ١١٥ ـ ١٣٨، ١٣٩ ـ ١٥٤.

٢١ ـ مفاهيم ينبغي أن تصحح: لمحمد قطب: ص ١٧ ـ ٢٥٤.

٢٢ ـ واقعنا المعاصر: لمحمد قطب: ص ٣٠٤ ـ ٣٦٣.

٢٣ ـ مذاهب فكرية معاصرة: لمحمد قطب: ص ١٧٨ ـ ٢٥٩، ٤٤٥ ـ ٤٦٩، ٤٩٥ ـ ٥٠٠.

٢٤ ـ حول تطبيق الشريعة: لمحمد قطب، كل الكتاب.

٢٥ ـ «لا إله إلاّ الله» عقيدة وشريعة ومنهاج حياة: لمحمد قطب، كل الكتاب. =

وبعد هذه المقدمة التي لابد منها لبيان مكانة هذه القضية من الدين وللرد على شبهة العلماني والحداثي، نخلص إلى موقف أهل الأدب المعاصر من حكم الله وشرعه، ويتجلى ذلك في أمرين:

الأول: محاربتهم للحكم الإسلامي.

الثاني: دعوتهم إلى تحكيم غيره.

ومن غير المستبعد على قوم أنكروا وجود الله أو شككوا فيه، وأنكروا ألوهيته ـ عزَّ وجلَّ ـ أو ترددوا في قبولها، وأنكروا النبوات أو ارتابوا فيها، وجحدوا الوحي، ونفوا المعاد؛ أن يكونوا أعداء لشريعة الله السمحة، ولدينه الحنيف، وأن يرفضوا تحكيم الشريعة، مشككين في ثبوتها أصلاً، أو رافضين لها كلها، أو زاعمين أنها من عوائق التقدم أو مدعين ـ كذباً ـ أنه

= ٢٦ ـ العلمانية: لسفر الحوالي: ص ٢٠٩ ـ ٣٠٥، ٥٦١ ـ ٥٨٧، ٦٤٧ ـ ٧٠٠.
٢٧ ـ تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين: لصلاح الصاوي، كل الكتاب.
٢٨ ـ نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية: لصلاح الصاوي، كل الكتاب.
٢٩ ـ قضية تطبيق الشريعة في العالم الإسلامي: لصلاح الصاوي، كل الكتاب.
٣٠ ـ المحاورة، مساجلة فكرية حول قضية تطبيق الشريعة: لصلاح الصاوي، كل الكتاب.
٣١ ـ حصوننا مهددة من داخلها: لمحمد محمد حسين: ص ١٥٨ ـ ١٦٨.
٣٢ ـ أضواء على ركن من التوحيد: لعبدالعزيز بن حامد، كل الكتاب.
٣٣ ـ الدولة الإسلامية: لأبي بكر الجزائري: ص ٢٧ ـ ١٢٤.
٣٤ ـ موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية: لمحمد عبدالهادي المصري، كل الرسالة.
٣٥ ـ جذور العلمانية: للسيد أحمد فرج، كل الكتاب.
٣٦ ـ أوهام العلمانية حول الرسالة والمنهج: لتوفيق الواعي، كل الكتاب.
٣٧ ـ العلمانية وثمارها الخبيثة: لمحمد شاكر الشريف، كل الكتاب.
٣٨ ـ الإسلام والسياسة، الرد على شبهات العلمانيين: لمحمد عمارة، كل الكتاب.
٣٩ ـ نقد العلمانية: لمحمد التكريتي، كل الكتاب.
٤٠ ـ نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي: لمحمد زين العرمابي، كل الكتاب.

لا حكم في الإسلام، وإنّما الدين شيء شخصي وعلاقة ذاتية بين الإنسان وربه، أو زاعمين بأن أحكام الإسلام لاتلائم العصر؛ لأنها ضد الحرية الشخصية، أو لأن نظام الإسلام ـ إن كان فيه نظام ـ لا تحرر فيه ولا تقدم؛ لأنه مجرد عادات وتقاليد وضعها محمد والصحابة والبدو في القرون المتخلفة، وعلى ذلك فلايُمكن اعتماد الإسلام نظاماً للحكم، بل يجب إبعاده، ومحاربة من يدعو إلى ذلك، وتحكيم الديموقراطية الليبرالية أو الاشتراكية الماركسية، وتحكيم إرادة الأمة والتحاكم إلى قول الشعب ونواب الشعب، ووضع الدساتير بناء على ذلك، والإقسام على احترامها وتطبيقها وعدم مخالفتها، إلى آخر ما هناك من أباطيل راسخة عند العلمانيين والحداثيين، وضلالات مزوقة بمعسول القول، وجاهليات مموهة بالتدليس والتلبيس، والكذب على الله تعالى، والافتراء على رسوله، والافتئات على دينه وشريعته.

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذه القضية هي معقد التفرقة بين الإيمان والزندقة، والإسلام والكفر، وأن التزام الشريعة الإسلامية، تصديقاً وانقياداً، وقبولاً رضاً هو الإيمان، وأن المماراة في شيء منها، تكذيباً أو رداً أو تشكيكاً أو اعتراضاً هو الكفر الذي لايبقى معه من الإيمان حبة خردل[1].

ولكيلا يبقى الأمر على عواهنه، أورد هنا شواهد من كلامهم تدل على انحرافاتهم الهائلة في هذا الباب.

أولاً: محاربة الحكم الإسلامي، ويتجلى ذلك في عدة أمور:

١ ـ رفضه ورده جملة وتفصيلاً، والسعي لهدم أصول التشريع الإسلامي.

٢ ـ الزعم بأنه لا حكم في الإسلام.

٣ ـ الزعم بأنه لايلائم العصر، وأنه لايُمكن اعتماد الإسلام نظاماً للحكم.

---

(١) انظر: تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين: ص ٧.

٤ ـ الزعم بأنه سبب للتخلف وعائق عن التقدم، وأنه لا تحرر فيه بل هو ضد الحرية.

٥ ـ الزعم بأن أحكام الشريعة بشرية من صنع البشر وليست إلهية.

٦ ـ القول بوجوب فصل الدين عن الدولة؛ لأن الدين شأن شخصي فقط، ولأن إخضاع الدنيا للدين مشكلة وكارثة عندهم.

٧ ـ القول بوجوب تفسير الإسلام تفسيراً عصرياً، وتطبيقه تطبيقاً علمانياً.

٨ ـ السخرية بأحكام الإسلام.

ومن خلال هذه الأمور يتجلى الموقف العدائي الذي ينطوي عليه أصحاب هذا الاتجاه الهدام، تجاه الإسلام والمسلمين، وهو مايدل دلالة قطعية على عمق المضادة والمناقضة والعداوة لدين الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حكم ومنهاجاً للحياة، وتاريخاً وحضارة.

الأمر الأول: رفض ورد حكم الإسلام جملة وتفصيلاً، والسعي لهدم أصول التشريع الإسلامي.

وهذا مما يكاد يتفق عليه الجميع، ولكن بعضهم تهيأت له الظروف المناسبة ـ وما أكثرها اليوم ـ فصرح وأعلن وجاهر بذلك، وبعضهم لم تتهيأ له هذه الظروف، فلمّح ولوّح والتوى، وركب متون الشبه والإلباس، وخاض مستنقعات التلاعب بالمفاهيم والمصطلحات والألفاظ، ليصل في النهاية إلى عين ما وصل إليه الأولون، فإذا هم في حقيقة الأمر مجتمعون على محاربة الإسلام، مجمعون على رفض حكمه وإنّما الفرق بينهم في الطريقة والأسلوب.

يقول أدونيس في تلمود الحداثة «الثابت والمتحول» ممتطياً جبران ليعبر من خلال عن أفكاره وعقائده: (لايستطيع الإنسان كما يرى جبران في «المجنون» وفي نتاجه كله، أن يصبح نفسه، إلاّ إذا هدم ما يعادي حريته الكاملة، وتفتحه المليء، ومايقف حاجزاً دون طاقته الخلاقة وتتجسد هذه

القوة المعادية، كما يرى جبران، فيما يسميه «الشريعة» بتنوعاتها وأشكالها السلطوية، الماورائية، والاجتماعية: الله «بالمفهوم التقليدي»، الكاهن، الطاغية، الإقطاعي، الشرطي... إلخ.

من المقطوعات المهمة التي توضح ثورة جبران على ما يسميه الشريعة العظيمة، مقطوعة في كتابه «السابق» (١٩٢٠) بعنوان «البهلول» ففيها يتمرد البهلول على الشريعة بخضوعه الكامل لها، الإنسان يرفض الشريعة إمّا بشكل مباشر، حيث يعلن انفصاله عنها، وإمّا بشكل غير مباشر، أو بشكل ساخر حيث ينفذها تنفيذاً حرفياً كما يفعل البهلول.

وتكشف هذه الطريقة في رفض الشريعة عن براءة الإنسان المطلقة وعن تجاوز إنسانيته لكل شريعة، فالإنسان قبل الشريعة هو الأصل... الشريعة في نظر جبران، ترتبط دائماً بمقتضيات المحافظة وبما يغتصب السيادة الحقيقية، فالشريعة خداع واغتصاب، إنها مؤامرة الذين يريدون أن يظلوا أسياداً على عبيد، أو أن يكونوا ساحقين، فالشريعة هي الإرهاب الإنساني بامتياز، بل إن المجتمع لايكون طاغية، ولايكون عدواً للتقدم والحرية إلاّ بالشريعة واستناداً إليها، إن الطغيان والعبودية من ثمار الشريعة...

... من يخضع للشريعة ليس عادلاً ولايشعر أنه عادل، بل على العكس يشعر أنه مذنب، إنه أخطأ قَبْلياً، وهكذا تبدو الشريعة وجوداً سابقاً على الإنسان وتجعل منه، بالتالي، أو تنظر إليه على أنه مخطيء أو مجرم، مسبقاً، وأنها موجودة لانزال العقاب الملائم، بغية إصلاحه، ومن هنا تغير موقف الإنسان من الشريعة: كان في الماضي يدعمها ويحافظ عليها، أمّا اليوم فيرفضها ويغيرها.

المثل العربي البارز على رفض الشريعة من أجل الحقيقة، أي من أجل مايتجاوز الشريعة، هو التصوف ـ على صعيد التجربة الفكرية، وهو الصعلكة على صعيد التجربة الحياتية...، أمّا الاتجاه الثاني القائم على الفكاهة والدعابة فهو نوع من الحركة التي لاتصعد من الشريعة إلى مبدأ أسمى منها،

بل على العكس، تهبط من الشريعة نحو نتائجها، أي نحو تطبيقها بشكل حرفي، فالتطبيق الحرفي للشريعة ينقلب إلى هزء بالشريعة، بحيث تبدو عبثية وباطلة، وبحيث يستمتع من يطبقها استمتاعاً كاملاً بما تحرمه عليه وتمنعه من تحقيقه.

في موقف جبران من الشريعة نلمح هذين الاتجاهين: فهو من جهة كما يتجلى في مقطوعة «البهلول» يتجاوز الشريعة بروح الدعابة ـ بتطبيقها حرفياً، كأن العقاب شرط يجعل اللذة الممنوعة ممكنة، وهو من جهة ثانية، كما يتجلى في مقطوعة «الشرائع» مثلاً، يتجاوز الشريعة بالدعوة إلى الطبيعة الأصلية التي تسبق الشريعة ولاتعرفها ـ والتي هي شريعة نفسها، الإنسان هو الطبيعة الأولى، أمَّا الشريعة فطبيعة ثانية، وجبران ينادي بالطبيعة الأولى ويدعو إلى العودة إليها)[1].

هذا القول يعتبر تأصيلاً للحداثة في موقفها من الشريعة، ونصاً محتذى من قبل أتباع الحداثة، عليه يدورون وعلى منواله ينسجون، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هو دلالة صارخة على مقدار العداوة لشريعة الإسلام، وحقد متجذر في الموقف من الإسلام كله.

وليست الشريعة في هذا القول سوى الشريعة الإسلامية، وإن حاول أدونيس أن يلبس بذكر ما سماه الأشكال السلطوية مثل الكاهن والطاغية والإقطاعي والشرطي، إذ مراده الأصل ما ذكره أولاً: «الله بالمفهوم التقليدي» حسب افترائه الإلحادي.

ثم استعارته لشخصية «بهلول»[2] الذي يظهر أنه تظاهر بالجنون ليقول

---

(١) الثابت والمتحول ٣ ـ صدمة الحداثة: ص ١٨١ ـ ١٨٣.

(٢) بهلول بن عمرو الصيرفي أبو وهيب، من عقلاء المجانين، كان يخلط وعظه وجرأته على الحكام بالتظاهر بالجنون، وكان في منشأه من المتأدبين المتعلمين ثم وسوس، أو تظاهر بذلك فعرف بالمجنون، ولد ونشأ في الكوفة، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه، له أخبار ونوادر ووعظ وشعر، توفي نحو سنة ١٩٠ هـ. انظر: الإعلام ٢/ ٧٧.

ما لاجرأة للعقلاء على إظهاره، وكان يعظ ويأمر بمعروف وينهى عن منكر ويقاوم ظلم الحكام وعمالهم، ذكره للبهلول يدل على أن مراده ومراد جبران من الشريعة شريعة الإسلام، وليست شريعة اليهود ولا دين النصارى ولا دين النصيرية.

ثم إن دعواه المتكررة أن الإنسان قبل الشريعة، دعوى عرية من البرهان، ومجازفة بالقول الكاذب من غير دليل، وهو دأب أدونيس وأضرابه، الذين يقررون القول تقريراً يظن سامعه أنه هو الصواب الوحيد، والقول الحق الفريد، ثم يسترسل بعد ذلك في دعاوى لاتقل بهتاناً عن هذا، كقوله الشريعة اغتصاب وخداع ومؤامرة، وإرهاب، وعدواً للتقدم والحرية، والخضوع لها ظلم وذنب، إلى غير ذلك من الدعاوى الجوفاء المجردة حتى من دليل سوفسطائي!!.

ثم يذكر الصوفية الباطنية التي رفضت الشريعة؛ ليكون ذلك دليلاً آخر على أن مراده بالشريعة «الإسلام وليس غير» ثم ليكون ذلك دليلاً آخر على باطنيته المتأصلة، ونصيريته المتعمقة في صميم قلبه وعقله.

ثم هو في سياق كلامه عن الصوفية الرافضة للشريعة يؤكد أنهم ما رفضوا الشريعة إلاّ من أجل الحقيقة ثم يضيف: (أي من أجل مايتجاوز الشريعة)، وهذه دعوى كاذبة بلا دليل، وهي ـ في الوقت ذاته ـ دعائية إلحادية مجانية هابطة، يضحك بها على عقول البلهاء أتباع الحداثة.

ثم يعاود أدونيس الكلام على الطريقة نفسها فيقول: (من الثورة على الشريعة ـ السلطة ورموزها، ينتقل جبران إلى الثورة على الأسباب العميقة التي تكمن وراءها وتؤدي إليها، هكذا يعلن الثورة على الماضي، وهي الثورة التي تتضمن كذلك الاتجاه نحو المستقبل، المظهر الأول لهذه الثورة هو في التحرر من التقاليد، سواء كانت هذه التقاليد عبادات أو عادات)[1].

ثم يستشهد أدونيس بكلام من مقطوعة لجبران بعنوان «حفار القبور»

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

ثم يقول: (وفي هذه المقطوعة يسمي الله والأنبياء والفضيلة والآخرة ألفاظاً رتبتها الأجيال الغابرة، وهي قائمة بقوة الاستمرار، لا بقوة الحقيقة، شأن الزواج الذي هو «عبودية الإنسان لقوة الاستمرار» والتمسك بهذه التقاليد موت، والمتمسكون بها أموات، وعلى كل من يريد التحرر منها أن يتحول إلى حفار قبور، لكي يدفن أولاً هذه التقاليد، كمقدمة ضرورية لتحرره)[1].

ثم يذكر بعد ذلك أمثلة للتحرر ويستشهد بإباحية جبران الذي عده (من رواد الثورة الجنسية المعاصرة)[2] والذي ينادي بترك العلاقة بين الرجال والنساء حرة، ويطلق الجنس بينهما بإباحية مطلقة، ويقف ضد الزواج، وينادي بتحرير المرأة وأن تسلك ماتريد بمقتضى قلبها وحبها، ويسمي رجم الزانية شريعة عمياء[3].

وعند هذا السياق يجب أن نشير إلى جبران الممتطى من قبل أدونيس في هذه القضية وغيرها، إشارات توضح لنا مقدار كاهن الحداثة القديم، فقد كان نصرانياً حتى آخر لحظة من حياته (فقبل أن يلفظ جبران أنفاسه الأخيرة، تقبل الأسرار الإلهية، وقد نشرت صورة الكاهن الذي تولى هذا الأمر، واسمه الخور أسقف فرنسيس واكيم؛ راعي كنيسة القديس يوسف المارونية في نيويورك)[4].

ومع ذلك فقد تبناه أحد كبار اليهود، ونسبه إلى اليهودية روحياً، أي أنه قام بالدور المطلوب والمرغوب يهودياً ولذلك (حسبه الأستاذ فرانكل رئيس الطائفة اليهودية في مدينة ديترويت ميتشغان في المحاضرة التي ألقاها حول تحليل كتاب «النبي» في ٢٨ من كانون الأول ١٩٢٤م إنه ليس يهودياً بطائفته ولكنه يهودي بروحه)[5].

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨.
(٢) المصدر السابق ٣/ ١٨٨.
(٣) انظر: المصدر السابق ٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩. وانظر: أسئلة الشعر: ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٤) أحاديث عن جبران لرياض حنين، والكلام المنقول لجبران تويني: ص ٣٢.
(٥) المصدر السابق: ص ٩٦.

وهو مع ذلك كله ينفي البعث والآخرة ويقول بتناسخ الأرواح: (إن جبران كان يعتقد بتناسخ الأرواح، فالمرء لايزول من هذه الدنيا، بل إنه ينتقل منها إلى عدة حيوات، وقد روى لماري هاسكل عن انتقاله هو بالذات، مراراً وتكراراً فقال: إنه عاش حياة بشرية في الماضي مرتين في سوريا ومرة في إيطاليا وأخرى في اليونان، ومرة في مصر وست مرات أو سبع في بلاد الكلدان وواحدة في كل من الهند وفارس)[1].

أمّا دعارته وانحطاطه الجنسي فهو أمر اشتهر وعرف، أمّا سرقاته من الغرب وانتحالاته فقد أضحت ثابتة حيث إن جبران (عرب قصيدة «الأرض» عن شاعر إنكليزي مجهول وادعى أنها من وضعه، وهذه القصيدة عثر عليها أحد السياح الأمريكيين وهي محفورة على مدخل قصر قديم مهجور في بريطانيا ونشرت هذه القصيدة في المجلات الأمريكية)[2].

وهكذا يتمدد أدونيس من خلال هذه النظريات الإلحادية التي يهدف من ورائها إلى إلغاء الشريعة جملة وتفصيلا، ويجد له آذاناً صاغية من ذوي العقول المستطرقة تحت أقدام ذوي الشبهات والشهوات.

والأهم في هذا الصدد كله أن أدونيس يثبت من خلال هذا الطرح في هذه المقاطع، وفي كتابه كله، أنه لا إبداع ولا تحديث ولا تقدم، إلاّ من خلال هدم الدين، وتحطيم عقيدة المسلمين، وإبعاد الشريعة الإسلامية، أي: أن هذه المقدمات هي الشرط الأول للحداثة، وهذا ما حصل ـ فعلاً ـ في الحداثة، وإن كانوا في ذلك بين مقل ومكثر، ومجاهر ومستتر.

ومن ألاعيب التلبيس ما كتبه نصر حامد أبو زيد عن «الحاكمية» في مقال له بعنوان «النصوص الدينية بين التاريخ والواقع» حيث هاجم عقيدة الحكم بما أنزل الله عن طريق مهاجمته للخطاب الديني أو الخطاب الأصولي ـ حسب وصفه ـ حيث جعل الدعوة إلى أسلمة العلوم والفنون، والدعوة إلى تحكيم الشريعة كلها (تنتهي إلى مد سلطة رجال الدين على كل

---

(١) المصدر السابق: ص ١١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٣.

مجالات الحياة، إنها تنتهي إلى «محاكم التفتيش» التي تدين بل تحرم كل اجتهاد إنساني في كل المجالات المعرفية، فتصمه بالانحراف والضلال والإلحاد... وهكذا تتبدى مغالطة الخطاب الديني الذي ينكر النتائج المنطقية لكل دعواه بإنكار أن «الحاكمية» تعني تحكيم رجال الدين في كل شؤون الحياة)[1].

فبدلاً من مهاجمة نصوص الشريعة كما هو عنوان مقاله، وبدلاً من مهاجمة الإسلام مباشرة، يلجأ إلى مهاجمة مايسميهم رجال الدين، وهي شنشنة معهودة معروفة من العلمانيين المتسترين بالدراسات والتحليلات.

أمَّا حديثه عن توقعه أن تتحول الحياة ـ إذا حكم أهل الإسلام ـ إلى محاكم تفتيش، فهو تحكم بالقول وادعاء بلا بينة، فقد أثبت التاريخ الماضي أن دول الإسلام لم يكن فيها محاكم تفتيش كما كان بين البروتوستانت والكاثوليك، وإن كان هناك بعض المظالم والتعديات المحدودة، لكنها لم تصل إلى هذا الحد الذي اقتبس صورته أبو زيد من الغرب ليطبقه على الإسلام والمسلمين، كعادته في كل منهجه.

ثم إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى فإننا نجد أن العلمانيين الذين حكموا بلاد المسلمين هم الذين مارسوا «محاكم التفتيش» التي تدين بل تجرم كل من دعا إلى الله أو طالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، أو نادى بأسلمة الحياة.

وما أنباء سجون عبدالناصر والسادات وحسني ببعيدة عن سمع وبصر هذا العلماني وغيره من العلمانيين.

وما أنباء الجزائر وتونس وليبيا وسوريا والعراق والصومال وما كان يعرف باليمن الجنوبي، وتركيا والجمهوريات الإسلامية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي وغيرها؛ إلاّ أدلة ساطعة قاطعة على «محاكم التفتيش

---

(١) قضايا وشهادات ٢/٣٨٦.

العلماني» التي سكت ويسكت عنها جميع العلمانيين، بل ويؤيدها أكثرهم تحت حجة مقاومة الإرهاب، والتطرف الديني، وليس لهم من مراد إلاّ إبعاد الإسلام عن الحياة بالإعلام أو بالسياسة أو بالتعليم أو بالسجن والقتل والتدمير، وفي مؤتمر «شرم الشيخ» الذي عقد في شوال من عام ١٤١٦هـ أوضح دليل على الخطو المتسارع الذي يسعى فيه هؤلاء لحرب الدين والأمة، تحت شعار مكافحة الإرهاب.

وإنني وأنا أكتب هذا الفصل وأسمع هذه الأنباء المتتالية لأعجب من عدم اكتفاء الأنظمة العلمانية المفروضة بما فعلوه من سجن وطرد وتشريد وتنكيل وإيذاء أولياء الله من علماء الإسلام ودعاته، حتى استعانوا باليهود والنصارى ليكون بعضهم لبعض ظهيراً في حرب دين الإسلام وأهله.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[1].

وبعد مهاجمة نصر حامد أبو زيد للخطاب الديني المعاصر الذي يرى أنه مناهض لإنجازات النهضة والتنوير ـ حسب عقيدته الجاهلية ـ ويرى أنه (خطاب ديني غاشم يسعى إلى إطفاء كل المصابيح الإنسانية)[2].

ثم يطالب بأن (يرفع غطاء القداسة عن الخطاب الديني القديم والحديث على السواء)[3] من خلال دراسة النصوص الدينية لا على أنها مطلقة وقاطعة، بل على أنها تاريخية ضمن إطار مايسميه: «الوعي التاريخي العلمي للنصوص الدينية» والذي يفسره بقوله: (إن ما نعنيه بالوعي التاريخي العلمي للنصوص الدينية يتجاوز أطروحات الفكر الديني قديماً وحديثاً، ويعتمد على إنجازات العلوم اللغوية خاصة مجال دراسة النصوص، وإذا كان الفكر الديني يجعل قائل النصوص ـ الله ـ محور اهتمامه ونقطة انطلاقه فإننا

---

(١) الآية ٨ من سورة الصف.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٨٨.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٨٧.

نجعل المتلقى ـ الإنسان مايحيط به من واقع اجتماعي تاريخي، هو نقطة البدء والمعاد)[1].

وبهذه الطريقة الغائمة العائمة فوق طفح الفلسفات الغربية يسعى أبو زيد لإلغاء الدين كله من خلال إلغاء مصدره الذي هو الوحي، وإبطال قدسية نصوصه، وهو ما سبق الحديث عنه في الكلام عن الانحرافات المتعلقة بالكتب المنزلة، ومن ذلك حديثه عن خلق القرآن وتأييده لهذه البدعة الشنعاء ليصل من خلالها إلى أن الوحي وما ترتب عليه من أحكام شرعية ليست سوى نتاج بشري محض أو كما قال: (إن النصوص الدينية ليست في التحليل الأخير سوى نصوص لغوية)[2]، بل يرى أنه (يُمكن أن يقال: أن كلام الله قد تجسد في شكل ملموس في كلتا الديانتين: تجسد في المسيحية في مخلوق بشري هو المسيح، وتجسد في الإسلام نصاً لغوياً في لغة بشرية هي اللغة العربية، وفي كلتا الحالتين صار الإلهي بشرياً، أو تأنس الإلهي)[3].

ثم يخلص بعد ذلك إلى القول: (الآن أصبحنا في موقف يسمح لنا بالقول بأن النصوص الدينية نصوص لغوية شأنها شأن أي نصوص أخرى في الثقافة)[4].

ثم طبق هذه النظرية الإلحادية على صفات الله وأخبار الغيب[5]، ثم اتجه إلى أحكام شرعية أخرى مدعياً سقوطها وبطلانها وانتهاءها بحكم بشرية النصوص، وإنسانية الوحي، حسب مزاعمه الإلحادية.

ومن الأحكام التي تحدث عنها بهذا المنظور: ملك اليمين، عتق الرقبة، أحكام الرق، أخذ الجزية، أحكام أهل الكتاب[6]، ثم تحدث عن الربا ونادى بإسقاط حكمه الشرعي[7]، ثم يتجه إلى قضية القضايا عند

---

(١) المصدر السابق ٢ /٣٨٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٨٩.

(٣) (٤) المصدر السابق ٢/ ٣٩١.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

(٦) انظر: المصدر السابق ٢/ ٣٩٥.

(٧) انظر: المصدر السابق ٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

العلمانيين والحداثيين: «الحاكمية» و«العبودية» التي يرى أنها تسعى (في المساهمة في تكبيل الإنسان بكل أنماط القيود التي تجعله قابلاً لأي نظام اجتماعي / سياسي ينتزف قواه ويقضي على إنسانيته)[1].

ثم يتوجه بتلبيس لايستطيع معه إخفاء حقده فيقول: (وحين يحصر الخطاب الديني العلاقة بين الله والإنسان في بعد «العبودية» وحده فإنه يستحضر المعنى المجازي للعبودية، بل يصر على تأكيد الدلالة الحرفية، وهي الدلالة التي تتأكد بطريقة حاسمة حين توضع في سياق التأويل الحرفي لصورة الإله الملك صاحب العرش والكرسي والصولجان والجنود التي لا حصر لها)[2].

وهكذا تطفح عقيدته الساخرة بالله تعالى وملائكته الكرام وبالشريعة الإسلامية كلها، فلايستطيع الانفكاك ـ مع كثرة التلاعب والالتواء اللفظي ـ من ظهور غدد وبثور الإيدز العلماني على وجه كتابته الكالحة.

ومن أمثلة ذلك غير ما سبق قوله: (إن إصرار الخطاب الديني على اختصار علاقة الإنسان بالله في بُعد «العبودية» بالمعنى الحرفي التاريخي إصرار يصادم الموقف الإسلامي ذاته)[3].

كيف ذلك؟ لايجيب، بل يسترسل بعد تقرير هذا الكلام فيقول: («الحاكمية» مفهوم يتنامى في أطروحات الخطاب الديني على مقولة «العبودية» ـ ثم يسوق بعض الآيات الآمرة بالتحاكم إلى الله ورسوله ثم يقول ـ إن الدعوة إلى تحكيم الرسول عليه السلام في أي خلاف يشتجر بين اثنين أو بين جماعتين أمر طبيعي في بنية المجتمع العربي آنذاك، ألم يختلفوا في شأن الحجر الأسود فاتفقوا على أن يرضوا بحكم أول الداخلين، ولم يكن ذلك يعني إعطائه[4] أي صلاحيات خارج إطار الخلاف موضوع الحكم،

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٠٠.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٠١.

(٤) هكذا والصحيح: إعطاءه.

النص لم يتحدث عن الحكم بالمعنى الشامل الواسع الذي يطرحه الخطاب الديني)[1].

وهكذا بكل كذب ومغالطة يصادر النص القرآني ودلالته القطعية، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2] ويجعل حكم الله ورسوله المأمور به مثل الحكم الطارئ الذي حدث قبل بعثة الرسول ﷺ عند وضع الحجر الأسود، ويعمم ذلك تعميماً ظالماً جائراً مؤداه: أن تحكيم الرسول كان عند قريش في شأن الحجر الأسود بعد أن اختلفوا فيه مجرد عادة كانت تحدث في بنية المجتمع آنذاك، الذي لم يعط محمداً ﷺ صلاحية الحكم في غير هذه القضية، وهذا هو معنى الآية، ومدلولها ـ حسب جهله وكذبه ـ أي أنه لا حكم في الإسلام ولا حكم للإسلام مطلقاً، وأن الرسول لم يحكم إلاّ في قضايا محدودة، حسب العرف في عصره ذلك.

وهذا كله مغالطة مكشوفة، وجهل فاضح، ولكن العلمانيين لا يستحيون!!.

ويمضي أبو زيد في تطبيق جهالاته فيطالب بالمساواة بين الذكور والإناث في الميراث، ثم أحكام اللباس واللحية وطريقة الطعام تحت ستائر التضليل العلماني المهترئ، مثل الاحتجاج بدلالة مغزى النص[3] الذي يريد به فتح المجال للاجتهادات العلمانية الحداثية!!؛ لكي تلعب بنصوص الشريعة كيف شاءت، ذلك أن «مغزى النص» يقوم عنده على إلغاء دلالته الظاهرة والمعهودة عند السلف والمعروفة عند المسلمين طوال تاريخهم، ومثل الاحتجاج بما يسميه المضمر والمسكوت عنه في النص[4]، وهو نوع من التأويل الباطني الحداثي يسوقه ضمن فذلكة بنيوية متهافتة.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٤٠٢.

(٢) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

وكل ذلك لكي يخلص إلى مقصده المنحصر في إسقاط حكم الله جملة وتفصيلاً من خلال العبث بنصوص الشريعة الإسلامية، ونصب أحاييل المصطلحات والألفاظ المولدة سفاحاً في بيوت الدعارة الفكرية، والتزاوج السفاحي مع المذاهب الأوروبية والفلسفات المادية.

ومن نتاج ذلك ما قاله الصادق النيهوم: (... منذ مطلع القرن الهجري الأول، كان الفقه الإسلامي يتلقى علومه بحماسة كبيرة في مدرسة التوراة)[1].

ثم يستشهد على ذلك بقضية الحيض والحجاب فيقول: (وكان موضوع الطمث، قد أعيد إلى خانة «النجاسة» من جديد، فتحولت المرأة المسلمة خلال فترة الطمث إلى امرأة «غير طاهرة» مرة أخرى، وعمد الفقهاء إلى إبطال صلاتها وصيامها طوال أيام الحيض في فتوى، لاتستند إلى نص القرآن بل تستند إلى قول التوراة... وفي ظروف هذا الانقلاب العبراني على لغة القرآن، قامت القيامة سراً، وبعث عالم التوراة حياً في واقع المسلمين، فأصبح عزل المرأة المسلمة فريضة في أصل الشريعة، وتحولت المرأة نفسها إلى «حرم» لايراه سوى الأقارب، وصار النظر إلى جسدها خطيئة، وتصاعدت هذه الحرب السماوية ضد المرأة إلى حد جعل مجرد لمس يدها «نجاسة» تنقض الوضوء... فحجاب المرأة ليس شريعة من أي نوع، بل منهجاً تربوياً مكتوباً بلغة السحرة، قاعدة النظرية أن «المرأة مخلوق نجس» وقاعدته العملية أن يقنع المرأة نفسها بقبول هذه الشخصية)[2].

وهكذا نرى المرض العلماني يستولي على عقل صاحبه حتى يجعله يتخبط في الجهالات تخبط الغريق، بيد أنه يجب أن يعلم أن هذا الكاذب المسمى الصادق النيهوم حين يتحدث عن الإسلام بهذه الطريقة ليس لأنه يؤمن بالإسلام، فهو أصلاً ينكره ويجحده، ويريد نقضه، ويسعى في هدمه وإزاحته من واقع الحياة، ومن يطالع كتابه «الإسلام في الأسر» يوقن بهذا.

---

(١) (٢) مجلة الناقد، العدد ١٣ تموز ١٩٨٩ م/١٤٠٩ هـ: ص ٧.

ويتبين له كيف يستخدم الآيات والأحاديث وقضايا ومصطلحات الإسلام استخداماً مغالطاً مضللاً كاذباً، في محاولة سبئية دائبة لطمس الإسلام، وتشويه حقائقه، والتلاعب بمضامينه تحت سيل من الآراء الباطلة والادعاءات الكاذبة ليكونوا رأس رمح في الغارة الجديدة على الإسلام وأهله، وليثبتوا لأسيادهم أنهم قاموا بالدور المرسوم لهم في حرب دين الله وأوليائه.

يقول أحدهم: (أن أهم خطر يواجه الإسلام الآن يكمن في الدعوة إلى تحويله من عقيدة إلى نظام للحكم «ثابت وأزلي» لم يوجد أبداً، ولن يوجد في المستقبل أيضاً، أن القوة الروحية والثقافية للإسلام «وهذا هو جوهره» تكمن في دعواه من أجل العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية)[1].

ويقول: (إن الذين يريدون إقامة أنظمة دينية، أنظمة تتطابق فيها السماء مع الأرض، إنّما يرتكبون خطأ كبيراً بحق الدين نفسه، وهو خطأ يشير إلى سذاجة فهمهم للدين والدنيا في آن... إن الذين يطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية ينبغي أن يقولوا لنا أولاً: أي شريعة يعنوان؟ إن كل مذهب يمتلك تصوراً خاصاً به عن الدولة الإسلامية التي يريدها، وهي تصورات سوف تقود الإسلام المتحول إلى أنظمة سياسية فقهية إلى ظلمات القرون الوسطى، إلى الحروب والمجازر)[2].

(هذا الإسلام الذي يرتبط ببتر الأطراف وتعليق الأكف على واجهات المساجد وضرب الأعناق بالسيوف في مهرجانات شعبية، ورجم النساء بالحجارة، واتخاذ العبيد والجواري، وتحويل النساء إلى عاهرات باسم الشرع «زواج المتعة» لايُمكن أن يشكل جوهر الرسالة التي حملها محمد إلى البشرية)[3].

---

(١) المصدر السابق العدد ١٣: ص ١٨ والقول لفاضل العزاوي.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩ للكاتب نفسه.

(٣) المصدر السابق: ص ١٩ للكاتب نفسه.

وقبل ذلك يذكر استطلاعاً قام به أحد الألمان أيام الحرب العالمية، يقوم على سؤالين: «هل تؤمن بالله؟ وكيف تتصور الله؟ «ثم يذكر جملة من الإجابات: (تقول إحدى النساء: «الله حزين ينبغي علينا أن نواسيه»، ويرى أحد الرجال: «كان الله موجوداً ولكنهم قتلوه» وتقول امرأة أخرى: «هناك إلهان، إله للأغنياء وإله للفقراء» ثم تضيف: «أحدهما شديد، ولكن لا سلطان له، وآخر رفيق ولكنه طاغ طاغ»)[1].

تعالى الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

بهذا النقل يسوغ الكاتب العلماني الحداثي فكرته القائمة على هذه المعاني الإلحادية، وفي آخر المقال يمتدح الشيوعية التي يزعم أنها هي وحدها (القادرة على تقديم برامج ومواقف مختلفة، تعكس مستويات الوعي المختلفة والقدرة على فهم الإبداع التاريخي)[2].

أمَّا عبدالرحمن المنيف فإنه يصرخ بأنه (لايسعنا تصور مجتمع قائم على أسس دينية في زمننا الحاضر، فالدين بات مسألة شخصية لايتعدى هذا التخوم، لذا يستحيل قيام مجتمعنا على دعائم دينية كما يستحيل إغضاء[3] على أحد الأديان صفة الشمولية الكونية)[4].

والمتفرنس المتغطرس محمد أركون الذي يهرب من كل شيء يسأل عنه أو يتحدث عنه إلى التحليل والتفلسف الفارغ والاحتيال الكاذب والدسيسة الخادعة تحت مسمى التحليل والدراسة؛ سئل: (هل يحافظ الإسلام حتى يومنا هذا على دعوته الشاملة؟ فأجاب:

---

(١) المصدر السابق: ص ١٩ للكاتب نفسه.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٤.

(٣) هكذا والصواب: إضفاء.

(٤) رأيهم في الإسلام: ص ٢١.

تندرج عبارة «دعوة شاملة» في معرض خطبة دينية، يجب تحليل هذا المفهوم الكوني على ضوء معطيات تاريخية وثقافية جديدة... بالنسبة للإسلام، كما لباقي الديانات يتعين تجديد مفهوم الكونية والشمولية، وكيف سيتمكن الإسلام من الانسجام مع هذه الثقافة الكونية الشاملة المستقبلية! فهي مسألة تستدعي التأمل)[1].

ويعد هذه المراوغة لم يستطع إلاّ التصريح عندما سئل: هل يُمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم؟ أجاب: (أرفض هذه الصيغة، فالإسلام ليس بنظام حكم، لا تاريخياً ولا عقائدياً)[2].

أمّا محمود المسعودي فإنه يعبر عن وجهة نظره العلمانية الرافضة لحكم الإسلام، فيجعل أساس ذلك، جعل الإنسان محوراً، بناء على ثقافته الفرنسية والتلقين الفرنسي الذي تلقاه من شبابه، فيقول: (... كأبناء جيلي، شبيت على أيدي موجهين فرنسيين، فلقنوننا الأدب الفرنسي... فكان لنا بمثابة عصارة الثقافة والحضارة إنسانية. المحور كان الإنسان في مكانته وكرامته ورسالته الإنسانية، إلى جانب هذا، انطبعنا على تحديد للإنسان، ضيق متحجر، فنحن من خلق الله، وما جاء به الخالق يسيره القدر، أي الله.

كتب علينا تقصي أسس لثقافتنا تبني على نظرة جديدة حول الإنسان وعيشة البيئي، غير تلك الموروثة عن أجيال الانحطاط)[3].

ويقول أيضاً: (... المسؤولية والعظمة التي يتحلى بها الكائن البشري، كممثل لله في الكون، فينبغي عليه الخلق والإبداع لينوب عن الخالق في عمله الخارق، فعليه إذاً، رسم خطوط مصيره وابتداع ذاته أولاً، فالإنسان عطية الطبيعة حسب القرآن، والفطرة إطار خالي[4] يملأه[5]

---

(١) (٢) المصدر السابق: ص ١٥١.

(٣) المصدر السابق: ص ١٥٥.

(٤) (٥) هكذا والصواب إطار خالٍ يملؤه الإنسان.

الإنسان، تلك هي مغامرة المدنيات والثقافات... فعليه إذاً إبداع ذاته، وتغيير العالم وخلق ظروف حياته في هذه الفانية...)[1].

ثم يصل في إجابته على الأسئلة إلى نقطة النهاية حيث قال: (يتحتم إدخال تعديلات على أحكام الشرع، والتسليم بأن بعض نصوصه. تجاوزها الزمن وضروريات الحياة العصرية)[2].

وإن كان المسعودي التونسي يشير إلى الإسلام في مقطتفات من كلامه، على أساس أنه لاينفي وجود الإسلام ولا أثره، وفق النظرة العلمانية، فإننا نجد غيره من حداثيي المغرب يعتبرون الإسلام واللغة العربية غزواً دينياً ولغوياً واقتصادياً، ويعتبرونه استعماراً تسلط على بلاد المغرب، وفتوحات عسكرية، تسلطت على الناس.

فهذا هو نبيل فارس البربري الجزائري يقول: (إن وصف تلك البلاد بالمغربية جغرافياً وأحياناً بالمستغربة، له دلالة رمزية أكيدة، وإذا ذكرنا تعرضها لغزوات لغوية، اقتصادية ودينية، لفهمنا تسمية «المغرب» هذه ـ وهي مستوردة أصلاً إذ أطلقها الآخرون عليها ـ فمصدرها غربة الأصل، ومردها نظرة العرب لهذه البلاد أبان فتحها...

... هيكلية الإسلام الذاتية المرتبطة بحلم التوسع الامبراطوري حلم الأمة الواحدة العائدة بقوة وعنف. ينبغي إذاً تخطي أمل العودة للأصل والقديم، بالنسبة لنا نحن المغاربة، الإسلام ظاهرة تاريخية وافقت فتوحات عسكرية واستعمار)[3].

ويقول البربري الجزائري الآخر كاتب ياسين الذي يتمنى أن اسمه كاتب لينين: (قبل الاستقلال كنت على قناعة من انتسابي إلى ماض أسطوري، بالتحديد إلى القبائل العربية الفاتحة، مثل بني هلال، ذلك أن في

---

(١) المصدر السابق: ص ١٦١.
(٢) المصدر السابق: ص ١٦٣.
(٣) المصدر السابق: ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

تلك الحقبة الزمنية ما كان «الإسلام العربي» ظاهرة خطيرة، بل كنا نتوسله ضد الاستعمار، أمّا اليوم وبعد كل ما حصل يجب القضاء على الأساطير...

ترى هل أن «الإسلام العربي» هو جزء من صميم شخصيتنا أم لا؟ أنا أقول: لا، ومجرد النفي هذا ينطوي على إرادة القضاء على تلك التصورات، فبالنسبة إلى المرأة الجزائرية يشكل الإسلام العربي طوقاً لايحتمل، كما يشكل «التعريب» ـ لكونه سلاحاً سياسياً ووسيلة تلاعب بالعواطف ـ بالنسبة إلينا في الجزائر، جرحاً دامياً نازفاً وآفة، من هنا القول: إن كل مايتعلق بالإسلام العربي يتطلب توضيحاً، بغية الحد من الأضرار التي يلحقها بنا)[1].

ويسترسل في هذه العنصرية الحاقدة والإلحادية الوقحة فيؤكد أنه يجب (الحذر من الأوهام والادعاءات العقائدية الدعائية من أجل العروبة، من هنا تمردي على القول بأن الجزائر عربية... لا وجود لعرق عربي، برأيي، لذا يجب أن ننفض غبار الغموض، القاتل والمتأتي من تفاعل وتزاوج اللغة والدين: الدين العربي الإسلامي، كلنا مأخوذ وبنسب متفاوتة بهذا المعتقد...

لقد فرض علينا الإسلام ديناً، وذلك في بلد يقول بالاشتراكية نظاماً وهو أمر على جانب كبير من الخطورة...)[2].

فهذا والذي قبله يحاربون الإسلام كله في أي مظهر ظهر، وفي أي صورة من الصور: في لغة أو شريعة أو حكم أو منهج حياة، أو سلوك، إنهم كما وصفهم زميلهم الماركسي الجزائري رشيد بوجدره «عرب الخدمات الفرنسية»، وذلك في قوله: (الكلام الذي قاله المؤدب والقاسمي وآخرون ممن عرفوا ككتاب مغاربيين فرانكفونيين، يعد فضيحة حقيقة، يقولون أيضاً

---

(١) المصدر السابق: ص ١٩٣.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، عدد ٦٣٤٥ في ١٢/٤/١٩٩٦ م/١٤١٦ هـ: ص ٢١.

إن الفرنسية هي لغة التحرر، واللغة العربية هي لغة الدين والعبادة واللاهوت؛ لأنهم يجهلون التراث واللغة والحضارة العربية الرائعة، إن موقفهم يعبر عن جهل وخيانة بل وعن خبث، وليسوا الوحيدين المعروفين بمفهوم «عرب الخدمات الفرنسية» الذين يستجيبون لأيديولوجية تعادي الحضارة العربية الإسلامية... إنه وصولية سياسية وإذا أردت أصولية أيديولوجية، وللأسف مثل هؤلاء يعدون أنفسهم حداثيين وتقدميين بالرغم من أن أدبهم يستجيب لمقاييس غير إبداعية، والدليل على ذلك ضحالة وضعف الكثير من الكتابات الأدبية التي يروج لها في الإعلام الغربي... عرب الخدمات الفرنسية يجحدون اللغة الفرنسية؛ لأنها تضمن لهم العيش باسم الأدب والصحافة - ثم يتحدث عن كاتب ياسين فيقول - للأسف لقد قال ما يرضي أسياده، وأنا لن أمسح له هذا الموقف، وسيبقى وصمة عار في جبينه، وسياسياً ياسين يختلف عن الذين ذكرتهم، وسياق مواقفه تختلف من الأدباء المغاربين الذين «أدمنوا» على الانتهازية السياسية، لكنه بدوره يجهل الحضارة العربية الإسلامية، ووقع في فخ الخلط بين الموقف السياسي والمعرفة الحضارية والثقافية والتاريخية، في حين أن البعض «عرب الخدمة» لايجهلون الحضارة العربية الإسلامية والإبداع الأدبي العربي، لكنهم منافقون لأغراض مصلحية ومادية)[1].

وهذه شهادة رجل من أهل الحداثة، ومن الذين تربو على الفكر المادي، بل هو من أجرأ الحداثيين على الاعتراف بالكفر إلى حد أنه يقول: (التدين عندنا خبث)[2]، ويقول: (أنا الملحد)[3] ويصرح بأنه يسعى (لتشكيل اتحاد ملحدين جزائريين يمكنهم الدفاع عن أنفسهم كجماعة، يكفيها شيء من الأقدام والجرأة لتفرض احترامها... نحن الأقلية المظلومة يعتري التباعد علاقاتنا مع السلطة خلافاً للمسلمين المؤمنين، فمن السهل أن

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦٣٤٥ ففي ١٢/٤/١٩٩٦م: ص ٢١ أجرى الحوار بو علام رمضاني.

(٢) (٣) رأيهم في الإسلام: ص ١٦٦ - ١٦٧.

تكون مسلماً في هذه البلاد، ولكن من الصعوبة بمكان أن تكون ملحداً)[1].

هذا الملحد الماركسي المتبجح يعلن عن خبرة ودراية عن الحداثيين الذين يمثلون ـ حسب قوله ـ «عرب الخدمات الفرنسية»، وسوف نجد أيضاً «عرب الخدمات الأمريكية» مثل الصايغ وجبران والريحاني و«عرب الخدمات الماركسية» مثل بو جدرة والبياتي وسعدي يوسف وبسيسو، و«عرب الخدمات اليهودية» مثل أميل حبيبي وسميح القاسم وتوفيق زياد، وكل هؤلاء يشهدون بواقعهم وبأشخاصهم وكتاباتهم على هذه الأوصاف الملازمة لهم.

ومن الأسماء الذين نص عليهم رشيد بو جدرة على أنهم من عرب الخدمات الفرنسية: عبدالوهاب المؤدب[2]، الذي يقول: (لا أعتقد أن التوحيد هو تقدم بالنسبة للوثنية)[3].

ويؤكد في ادعائية فجة أنه لايتم بلوغ الكمال الإنساني إلاّ بعيداً عن الضغوط الدينية في سبيل حياة أفضل بين الناس، بفعل منطق لايحتاج معه الاستعانة بالله[4]، ولما سئل: (هل يُمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم قال: كلا)[5].

أمَّا عادل ظاهر فلن أنقل من كلامه شيئاً في هذا الصدد، وذلك لكثرته، وبشاعته، وامتلائه بالأكاذيب والجهالات والمغالطات التي يصوغها ـ

---

(١) المصدر السابق: ص ١٦٩.

(٢) عبدالوهاب المؤدب، حداثي علماني مغربي من ذوي الارتباط بالثقافة الفرنكفونية الفرنسية، يرى أن سمو التوحيد يتطلب برهاناً كما الوثنية، ويشكك في أمية النبي ﷺ، ويرى أن عصر الخلفاء الراشدين لم يكن سوى مسرح للحروب الأهلية، ويقول أنه يدين بدين ابن عربي وينادي بالانفتاح على الأديان، وأنه لايمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظاماً للحكم، بل يخشى أن يأتي حكم الإسلام. انظر: انظر: رأيهم في الإسلام: ص ٢١٣ ـ ٢٢٨.

(٣) رأيهم في الإسلام: ص ٢٢٦.

(٤) انظر: المصدر السابق: ص ٢٢٧.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٢٨.

كما يظن بجهله ـ في أسلوب فلسفي، وقد تحدث في ندوة دار الساقي في لندن عن «الإسلام والعلمانية»[1] وأطلق أباطيله، ونفث بعض حقده على الإسلام والمسلمين متظاهراً بالموضوعية والنقاش المجرد، ولكن خبيئة قلبه المريض أبت عليه إلاّ أن يبدي ما استتر، ويظهر ما اختفى، ومثل هذا وأشنع منه وأخبث ما سطره بيده الشلاء في كتابه «الأسس الفلسفية للعلمانية»[2] الذي أفاض فيه من الأقوال الخائبة، التي ينصر بها الإلحاد والعلمانية، ويحارب بها الإسلام لا في مجال الحكم والتشريع فحسب، بل في كل مجال من مجالات الإسلام، من العقائد والأحكام، والأصول والقواعد، ابتداءً بمحاولة هدم الوحي، والنبوة، وانتهاء بمحاولة هدم التطبيق والعمل المبني على الوحي والنبوة.

غير أن كتابته في هذا الكتاب وغيره تتميز بالإسهاب الممل، والغموض والتفكك والالتواء، وعدم القدرة على الإفهام والإيضاح، ومحاولة التفلسف الجوفاء، والبلادة في الأسلوب، وهو ما يذكر بقول الناقد الحداثي حامد أبو أحمد[3]، الذي يصف فعل الحداثي الذي: (اقتطع بعض أجزاء مفرقة من الكتاب الأجنبي ثم ترجمها مع بعض التصرف أو الاختصار، ثم ربط هذه الأجزاء المبعثرة بطريقة الربط التي شاعت في كثير من الكتب خلال العشرين عاماً الماضية، وهي طريقة يعلم الكافة الآن أن لها خصائص محددة من بينها أنك يا عزيزي القارئ ينبغي أن تضرب رأسك في الحائط حتى تفهم، وإذا لم تفهم فهذا أفضل؛ لأنك في هذه الحالة لن تكتشف

---

(١) الإسلام والحداثة: ص ٧١ ـ ١٠٠.

(٢) الأسس الفلسفية للعلمانية لعادل ظاهر، إصدار دار الساقي، ويقع في ٤٢٩ صفحة.

(٣) حامد حامد يوسف أبو أحمد، ناقد حداثي متخصص في الأدب الأسباني، حصل على الدكتوراه من جامعة مدريد، أستاذ مشارك في معهد اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود، له كتب عديدة أكثرها مترجم، ومنها رواية من قتل موليرو للكاتب البيروائي ماريوبارجس يوسا، التي أحدثت ضجة كبيرة بسبب الجنس المكشوف فيها، وله كتاب نقد الحداثة مع إشادة ومديح لبعضهم، كشف فيه عن بعض سوءات الحداثيين. انظر: الغلاف الخلفي لكتابه نقد الحداثة.

طرق التزوير التي لجأنا إليها، وستظل تحس بالقصور تجاه هذه العلوم الجديدة التي لايفهمها إلاّ جنس ثالث من المثقفين، الذين لايمتون إلى العرب ولا إلى العجم بأية صلة...، ومن ثم فليس غريباً أن يحس القارئ المتخصص بغربة ليتها تشبه غربة المتنبي في شعب بوان، ولكنها غربة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة، وأنا حقيقة ما زلت في حيرة من هذه الظاهرة الغريبة: كيف استطاعت ثلة من المؤلفين العرب أن تفرض على الثقافة العربية نوعاً غريباً من التأليف لم تشهده هذه الثقافة على امتداد تاريخها الطويل؟!.

لقد تعامل المؤلفون العرب القدامى مع الثقافة الوافدة تعاملاً يعكس روح الانتصار التي كانت تستشرفها النفوس العربية الأبية، وتحققها على أرض الواقع، أمّا تعاملنا الحالي فليس إلاّ انعكاساً لروح الهزيمة المسيطرة على أرض الواقع)[1].

إن من يقرأ كتابات عادل ظاهر وأركون وبنيس وأدونيس وغيرهم يجد مصداق هذا القول الذي ذكره أبو حامد، بل يجد أشنع مما وصف.

وإذا انتقلنا إلى «عرب الخدمات الأمريكية» فإننا نجد أحد كبار ممثليهم المسمى «هشام شرابي» يقول: (إن الإنسان قادر بمفرده «ودونما حاجة إلى العودة إلى نص ديني أو شبه ديني» على أن يعرف ما الذي ينبغي له أن يقوم به على المستوى السياسي والاجتماعي والقانوني والإداري)[2].

ومن الحضيرة ذاتها: جابر عصفور الذي سبق نقل كلامه في مواطن عديدة، حيث جعل القدر والشرع مهانة للإنسان وإذلالاً له وفرض وصاية عليه، وإيهاماً بالهداية، مع سخرية بالله تعالى وشرعه ودينه، وهو بكل هذا يسعى في نسف الأصول الشرعية التي ينبني عليها التشريع الإسلامي، ويسارع في نقض الإسلام ومناقضته[3].

---

(١) نقد الحداثة: ص ٨٠ ـ ٨١.

(٢) الإسلام والحداثة: ص ١٢٧.

(٣) انظر: المصدر السابق: ص ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧.

أمّا عزيز العظمة الذي لايخفى إلحاده، ولايتوارى بعداوته للإسلام، فإنه قد أكثرَ من الانتصار للعلمانية الإلحادية خاصة، على طريقة عادل ظاهر، وقد سجل معظم آرائه في كتابه المسمى «العلمانية من منظور مختلف»[١] الذي بسط فيه مايظنه هدماً للدين والملة، ونقضاً للحكم والشريعة، ووضع الأسس التي يكون بها ترسيخ العلمانية في الواقع، وعلى كل حال فالكتاب في مجمله وتفصيله يحتوي على الرفض الصريح للإسلام، والرد الواضح لحكمه جملة وتفصيلاً، والسعي لهدم أصول التشريع الإسلامي، ونماذج الحكم الإسلامي ابتداءً بقرون الهجرة الأولى، وفيه محاولات فلسفية مفككة وانتصارات علمانية خطابية، وادعاءات حداثية جوفاء كل ذلك في سبيل نصر اللادينية[٢].

ولعزيز العظمة مقالات منشورة في مجلات الحداثة، ومشاركات في ندواتهم، منها ندوة الإسلام والحداثة التي كرر فيها مقولاته الهدامة، حيث تعرض لأصول الفقه واعتبره مجرد أداة لتسويغ الأحكام الشرعية[٣]، وتحدث عن الإجماع على أنه ممارسة سلطانية تسلطية[٤]، وتحدث عن الحج واعتبر شعائره مجرد طقوس جاهلية وأساطير مأخوذة من الجاهلية[٥]، ثم عقب بعد كل ذلك بتقرير أن أحكام الكفر والردة لا قيمة لها في هذا العصر؛ لأنها أصبحت ممجوجة[٦] إلى آخر ما سرده من أقاويل علمانية، حداثية، تدل غاية الدلالة على أن القوم قد تظافروا على رفض أحكام الإسلام.

وهو في هذا كله يحاول تقوية أصول العلمانية وبث الحياة في أعجاز نخلها المنقعر، وتشييد بنيانها بلبنات الرماد الكفري الممزوج بسراب الإلحاد والمادية.

---

(١) (٢) العلمانية من منظور مختلف لعزيز العظمة إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ويقع في ٣٧٨ صفحة.

(٣) انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٦٥.

(٤) انظر: المصدر السابق: ص ٢٦٢.

(٥) انظر: المصدر السابق: ص ٢٦٦.

(٦) انظر: المصدر السابق: ص ٢٧٠.

ومن أقوال شعراء الحداثة التي فيها رفض شريعة الله وحكمه والتعدي عليها والتفاخر بمخالفتها ومناقضتها قول نزار قباني المستبيح للزنا:

(فكرت أن استولدك قصيدة

فكرت في ليالي الشتاء الطويلة

أن اعتدي على جميع الشرائع

وأزرع في رحمك عصفوراً

يحفظ سلالة العصافير

فكرت في ساعات الهذيان واحتراق الأعصاب

أن استنبت في أحشائك

غابة أطفال

يحفظون تقاليد الأسرة

في كتابة الشعر

ومغازلة النساء)[1].

ويذكر الخليفة ساخراً به، متحدثاً عنه على أنه مجرد شهواني متلاعب، ثم يعلن أنه يبصق فوق وجهه ووجه دولته، وفي هذا تعبير واضح عن بغضه ورفضه لحكم الإسلام الذي عرف في التاريخ بأن الخليفة هو رمزه ومحور إنجازه، وفي ذلك يقول:

(أدخل مثل البرق من نافذة الخليفة

أراه لايزال مثلما تركته

منذ قرون سبعة

مضاجعاً جارية روميّة

---

(١) الأعمال الشعرية لنزار ٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

اقرأ آيات من القرآن فوق رأسه

مكتوبة بأحرف كوفية

عن الجهاد في سبيل الله، والرسول

والشريعة الحنفية

أقول في سريرتي:

تبارك الجهاد في النحور

والأثداء

والمعاصم الطرية

يا حضرة الخليفة

أعبر من سرادق الحريم كالمنية...

أدخل مثل الموت من نافذة الخليفة...

أبصق فوق وجهه

وفوق وجه الدولة العلية)[1].

أمَّا أحمد دحبور فإنه يعترض على حكم الله تعالى في رجم الزانية، ويدافع عن رذيلة الزنا من خلال دفاعه عن مايسميه «العاشقة» فيقول تحت عنوان «ماذا تغني العاشقة»:

(من ضفائرها تسحب العاشقهْ

رحمة، رحمة

ويطوف بها الراجمون

يد الله فوق الأنام ويحتفلون بأمر من الله.

---

(١) المصدر السابق ٣/٢٥٣ ـ ٢٥٦.

ثم يجاء لسيدنا بالغلام المخلد

حتى إذا ما قضى وطراً منه

ألقى على رأسها حجراً

ومضى، طاهر الثوب واليد

حقل من النفط يمتد بين عباءاته والهدى

رحمةً، رحمةً

ويمر وزير الهبات

فيثني على بارئ الكائنات بما هو أهل

رحمة، رحمة، رحمة

ثم يندلق الموت

يختلط النفط بالدعوات

ولا ضوء في الداجيات

هي الحكمةُ الظلمةُ الأمةُ الموت

والعلم الأمريكي. . . ،[1]

لم يبق إلاّ. . . ،[2]

وتصعد من هوة الرجم قبره

فيفيق على صوتها شاهدان ومقبرة

وتطير فيشهدها الخلق:

من جرحها البرق

---

(١) (٢) هذه النقاط في أصل النص.

في صوتها الحق

والحزن بين علاماتها الفارقة...

... بيت المال يرفل بالحلال

ويشعل النفط المبارك للجواري الصالحات نقود سيدنا

فيوقدن الشموع لليلهِ حباً

ويرفع بئره نخباً

فتسقط جمرة من عامه الهجري

حيث يموت أربعة من الأطفال حرقاً...

... هكذا يخسف المتنبي

ويحذف من شرعة المؤمنين الحرام

هكذا، ركعة تجفل القدس منها

وينشق عنها كتاب الصلاة

فيختلط النفط بالدعوات ولا ضوء في الداجيات...

... لماذا أصلاً تنقلب الأحلام إلى بقرات؟

ثم لماذا لانتجول في الممنوع

فنسأل عن أسعار النفط وختم الجوع

وندخل كل القاعات المضروبة بالشمع الرسمي الأحمر...

... الأرض بساط الله.

بساط الله الآن يحاط بجيش الله الأمريكي

فمن جهة بالنار

ومن جهة بصلاة العار

١٩٠٩

وخلفهما حكم عدل يتساقط عدلاً

فاستغفر، واختر أحد الموتين

أو ارحل، دون وطن)[1].

وهي مقطوعة طويلة انتخبتُ منها ما يناسب الاستشهاد، وقد ملأها بالسخرية بالله تعالى ودينه وشريعته ومزج ذلك ـ تهكماً واستخفافاً ـ بالنفط، إشارة إلى هذه البلاد التي تحكم محاكمها على الزناة بالحد الشرعي، وألصق كل ذلك بالأمريكان، حسب التفكير اليساري أيام كانت دولتهم الناصرية وأمها السوفيتية، فكان المثقف اليساري الذي يريد إثبات يساريته لابد أن يذم عدوه بالعمالة للامبريالية والأمريكان، واليوم وبعد أن تغيرت الأمور، واستطار شأن اليهود والأمريكان نراهم يهرعون للعق موائد الامبريالية التي طالما اعتبروها عدوة الشعوب، مثيرة الحروب، واعتبروها سبة لايعادلها سبة؛ ولذلك نادى دحبور في هذه المقطوعة بعد أن سبّ الله تعالى وتقدس، فقال:

(بساط الله يحاط بجيش الله الأمريكي...)[2].

ثم قال بعد ذلك:

(يا أعداء العلم الأمريكي اتحدوا)[3].

وعلى أية حال فإن العداوة لدين الله وشريعته تقتضي أن يكون المعادي لها والرافض لتطبيقها قد انتمى إلى عقيدة أخرى، ارتضى منهجها وقبل حكمها، ودعى إلى سبيلها المظلم، أياً كان هذا المنهج أو الحكم أو السبيل، فما دام أنه ليس منهج الإسلام ولا حكم الله ولا سبيل المؤمنين، فليس إلاّ الضلال والردى، بأي اسم تسمى، وبأي شعار ظهر، وإلى أي دولة أو مذهب أو فلسفة انتمى ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ

(١) ديوان أحمد دحبور: ص ٥٠٧ ـ ٥١٦.

(٢) (٣) المصدر السابق: ص ٥١٦ ـ ٥١٧.

﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ويقول علاء حامد مؤسساً قاعدة إلحاده: (نحن الحقيقة وما عدانا هو الوهم، نحن الحقيقة والحقيقة نحن، وطالما أن الله حقيقة، فلسنا سوى الله، الأمطار دموعه، والريح زفرته، والغضب براكينه، والعلم عقله، والإنسان وسيلته، والسلطان رغبته، والكون سلوته.

وإذا كان الله والإنسان واحد [كذا] لايتجزء فلماذا يعجز الإنسان عن المعرفة الكلية؟!)[2].

وهذه القاعدة الإلحادية المتمثلة في تأليه الإنسان هي أساس رفضهم للدين، وردهم لحكم رب العالمين، واعتناقهم للمناهج الأرضية، وتقديسهم للأحكام البشرية.

وعلى هذه القاعدة جرى علاء حامد في غيّه الإلحادي، فراح يسوق اعتراضاته الجاحدة، وانتقاداته الساخرة لأحكام شرع الله، فاعترض على قضية الميراث وزعم ـ جهلاً وادعاءً ـ أنها كانت قبل الأديان ثم قامت الأديان بترجمتها ترجمة غير أمينة[3]، واعترض على الوصية في التركة[4]، ودعا إلى المساواة المطلقة بين الرجل والأنثى[5]، ودعا إلى نبذ الزواج والمعاشرة الزوجية التي سنها الدين ونظم أمورها[6]، واعتبر العقوبات الشرعية في قطع السارق ورجم الزاني المحصن وقتل القاتل عقوبات قاصرة عن النظرة الحديثة التي يجب أن تسود[7]، وتهكم بأحكام الحجاب وبالمتحجبات[8]، وشرع يصف الأديان ـ ويقصد الإسلام ـ بالعجز والقصور

---

(١) الآيات ١٩ ـ ٢٢ من سورة فاطر.
(٢) مسافة في عقل رجل: ص ٨.
(٣) انظر: المصدر السابق: ص ١٨١.
(٤) انظر: المصدر السابق: ص ١٨٣.
(٥) انظر: المصدر السابق: ص ١٨٦، ١٨٩.
(٦) انظر: المصدر السابق: ص ١٨٧.
(٧) انظر: المصدر السابق: ص ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٢ ـ ٢١٣.
(٨) انظر: المصدر السابق: ص ٢٠٧.

والتبدل فقال: (إن أحكام الأديان ليست سوى قطع شطرنج على مربع الحياة يُمكن في أي وقت من الأوقات استبدالها بصيغة أكثر نضجاً واتساقاً مع العصر)[١].

ثم قال: (شرائع الأديان أصبحت الآن في أغلبها كسيحة عن ملاحقة التطور المذهل للبشرية)[٢].

ومثله نوال السعداوي في روايتها «سقوط الإمام» المليئة بالانحرافات الكفرية، فيما يتعلق بالله تعالى ورسله واليوم الآخر، وقد سبق نقل أشياء من ذلك، أمَّا مايتعلق بأحكام الشريعة فقد اتخذتها هدفاً لسخريتها، ورفضها وردها، بدأ من سخريتها بالإمام الذي تصوره في صورة هزلية هابطة، وتجعله مرة الحاكم والخليفة، ومرة تصفه بأنه هو الله[٣]، تعالى الله وتقدس.

وتتحدث عن بعض أحكام الشرع ساخرة هازئة مثل حديثها عن الرجم[٤] والختان[٥]، والوضوء والصلاة[٦]، والحجاب[٧]، والسخرية بكل أحكام الشرع[٨]، وبتطبيق الشريعة مع مخاطبة دنيئة لله تعالى[٩].

أمَّا شوقي عبدالحكيم[١٠] فإنه يجعل أحكام الإسلام ضمن الأساطير

---

(١) المصدر السابق: ص ١٩٥.
(٢) المصدر السابق: ص ١٩٨.
(٣) انظر: سقوط الإمام: ص ١١، ١٦.
(٤) انظر: المصدر السابق: ص ١٩.
(٥) انظر: المصدر السابق: ص ٨٨.
(٦) انظر: المصدر السابق: ص ١٠٦.
(٧) انظر: المصدر السابق: ص ١١٢.
(٨) انظر: المصدر السابق: ص ١١، ٨٨، ١١٢.
(٩) انظر: المصدر السابق: ص ١٢٦.
(١٠) شوقي عبدالحكيم، حداثي مصري، له كتاب موسوعة الفلكلور والأساطير الشعبية حشاه بالتكذيب للوحي، حيث جعل القرآن العظيم والحديث الشريف من مصادر الأساطير الشائعة بين الناس، وجعل جملة من الحقائق الواردة في الوحي أساطير.

والخرافات، حيث جعل سيادة الرجل على المنزل وعلى المرأة خرافة[1]، وجعل الميراث خرافة[2]، وكذلك الشعائر العبادية والاستعاذة والرقى والطهارة وأحكام الحيض[3]، وجعل السعي بين الصفا والمروة من شعائر الجاهلية ومن الخرافات[4]، وكذلك الختان[5].

وبالجملة فالقوم قد استهدفوا أحكام شرع الله تعالى بالرفض والرد والهدم، لكي يتمكنوا من إقامة شرائع جاهلياتهم المعاصرة، ومناهج ضلالاتهم المظلمة.

الأمر الثاني: زعمهم بأنه لا حكم في الإسلام:

ففي سياق حربهم المستعرة ضد الإسلام وأحكامه وعقائده وحضارته، نصبوا أحابيل التلبيس، ووضعوا شرك التدليس، بحثاً عن أي ثقب يعينهم على تضليل أبناء المسلمين وغسل عقولهم، وإخراجهم من دينهم.

ومن ذلك أنهم يظهرون في مسرح المحترم للدين، فيدعون مرة أنهم يريدون تنزيهه عن النزول إلى ألاعيب الحكم والسياسية، ويدعون أخرى أنهم عارفون بالدين، مطلعون على حقيقته، وأنهم قد تبين لهم أن دين الإسلام ليس فيه إشارة للحكم أصلاً، وليس فيه أحكام دولة وسياسة ونظام حياة، بل هو مجرد عقائد بحتة وأخلاق، وهو في أحسن الأحوال ـ عند بعضهم ـ علاقة بين الفرد وربه، يحدد الفرد بنفسه نوعية ومكان وزمان هذه العلاقة بالكيفية التي يريد.

وبما أنهم قد استنسخوا عقائدهم الحداثية والعلمانية عن أسيادهم الغربيين، الذين ورثوا ثمرات الصراع الطويل بين الكنيسة والعلم، والكنيسة

---

(١) انظر: موسوعة الأساطير: ص ١٦.
(٢) انظر: المصدر السابق: ص ١٦.
(٣) انظر: المصدر السابق: ص ١٩.
(٤) انظر: المصدر السابق: ٥٧.
(٥) انظر: المصدر السابق: ص ٥٩.

والإنسان والحياة والتقدم، فما كان أمامهم إلاّ أن يحاربوا الدين كله، سعياً لإسقاط هيمنة الكنيسة الظالمة الجاهلة المحرفة، وإسقاط تسلط أرباب الدين الظلمة، ولكنهم لم يكتفوا برفع الظلم عن أنفسهم من خلال تبيين الحقيقة على وجهها ومعرفة الدين الحق، أو من خلال رفع مظالم الرهبان والقساوسة، بل اتجهوا بكل عنف وقسوة وطيش لهدم الدين كله، ونفي الألوهية والربوبية، وتأليه الإنسان.

ولما أخذ أبناء المسلمين عنهم في هذا العصر ما أخذوا من عقائد وأفكار، أخذوا هذه القضايا، ونقلوا حلقات الصراع بين الكنيسة والعلم والعقل والإنسان، وأحداثها الدامية الطويلة، نقلوها إلى الإسلام دين العلم والعقل واحترام الإنسان، والذي لم يكن يوماً مّا ضد أي شيء من هذه القضايا، بل كان لها راعياً وحافظاً وحارساً وحامياً.

ولكن الحقد الذي انغرست بذوره في قلوب وعقول المستطرقة عقولهم من أبناء المسلمين، أبت إلاّ أن تنبت ثمار الشنآن فأصبحوا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

فإذا ذكر هيجل أو نيتشه أو ماركس أو سارتر أو سيبنوزا إذا هم يستبشرون، وإذا ذكر الله تعالى أو رسوله ﷺ أو أصحابه أو علماء المسلمين أو مصطلحات الإسلام أو مضامين الإيمان إذا وجوههم مظلمة كأنما أغشيت قطعاً من الليل مظلماً.

وقد شاهدت ذلك ورأيته رأي العين في كتبهم ومجلاتهم وفي مجامعهم وأنديتهم، وما ذاك إلاّ لتأثير العقيدة الضالة في قلوبهم.

فالفكر عندهم ما قاله الغرب أو تلامذته من طه حسين والطهطاوي حتى عشماوي وعصفور وأدونيس، فإذا دار الكلام عن هؤلاء وأضرابهم وأشباههم بل وحتى أتباعهم من فروخ الحداثة الصغار؛ سموا ذلك الكلام

---

(١) الآية ٤٥ من سورة الزمر.

فكراً وأدباً وحوار مثقفين، وندوة فكرية، وأمسية نقدية أو أدبية.

وإذا جيء بقول الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ أو كلام أحد من علماء المسلمين أو مفكريهم قالوا هذه خطابية ووعظ، وكلام مدرسي، وإنشاء مدرسي، وربما قالوا: هذه أصولية وتطرف وإرهاب!!!.

كل ذلك لأن القوم قد أشربوا العجْل الحداثي وتعلقوا بالسامريّ العلماني، وأقعوا عاكفين عليها، حتى أصابتهم الذلة في عقولهم وقلوبهم فأصبحوا يرون الحق باطلاً ويسعون لحربه واجتنابه، ويرون الباطل حقاً ويسعون لنشره واتبّاعه وتكثير سواد أتباعه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[1].

وقد بدأت دعوى: أنه لا حكم في الإسلام من بدايات الاتصال بالغرب، اتصال التلمذة والشعور بالنقص، والتبعية المفعمة بتقليد الغالب المسيطر، حيث عاد المنهزمون إيمانياً وفكرياً ليطرحوا فكرة عزل الدين عن الحياة على أساس أنها هي قاعدة التقدم والنهضة والرقي والازدهار!! حسب ما شُبِّه لهم، وحسب ما تلقنوه في الغرب، أو ما وصل إليهم من خلال المبتعثين والصحف التي كان يسيطر عليها نصارى الشام ومصر، من موارنة وأقباط.

وحيث إن هذه الطلائع في جو لايسمح لها بإنكار الدين كله ومحاربته والسعي للقضاء عليه، أو لأنهم ما زالت عندهم بقية من اعتراف بالدين بصورة ممسوخة مجزوءة، فإنهم لم يعلنوا الحرب الشاملة عليه، كما هو حال العلمانيين اليوم.

ولذلك طرحت طلائع العلمانية فكرة أنه لا حكم في الإسلام، وكان من أبرز من دعا إلى ذلك رفاعة الطهطاوي، وعلي عبدالرازق[2]، وخير

---

(١) الآية ١٥٢ من سورة الأعراف.

(٢) علي عبدالرازق، عالم مصري أزهري، سافر إلى إنجلترا ودرس في جامعة أكسفورد=

الدين التونسي[1]، وغيرهم ممن عجن في معامل فرنسا وبريطانيا، ثم استمدوا قوتهم في ظل الاستعمار، وتمدد فكرهم بهدوء وفعالية تحت هيمنة وحماية الانتداب البريطاني خاصة، الذي مد نفوذه إلى التعليم والإعلام والسياسة.

حتى تخرج في معامل التفريخ التغريبي جيل بل أجيال لاتشك في بعض قضايا الإسلام كالحكم والتشريع، بل تشك وتجحد وتضاد الإسلام كله جملة وتفصيلاً.

لقد كانت «مدرسة المعلمين العليا»[2] ـ مثلاً ـ إحدى المؤسسات المكملة للتخطيط الدنلوبي الإنجليزي، وأحد المراحل الأولى للعلمانية المرسومة بعناية من قبل الغرب في مخططهم طويل الأمد المضاد للإسلام، ولقد كانت الحركات القومية والروابط الأدبية والمجامع الثقافية المهجرية، وغير المهجرية تقوم بالدور ذاته.

ولقد كانت الصالونات الأدبية المرعية من الدولة البريطانية ذات أثر بالغ ونفوذ كبير في احتضان فراخ الغرب وتخريجهم[3] ليكونوا عيناً وأذناً

= وعاد منتكس العقيدة فألف كتابه «الإسلام وأصول الحكم» الذي نفى فيه أن يكون الإسلام نظام حكم، وقد رد عليه جملة من العلماء والكتاب المسلمين، انتخب عضواً لمجلس النواب، ثم بمجلس الشيوخ وانتدب بعد ذلك لإلقاء محاضرات بقسم الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، وكان عضواً مجمعياً بالقاهرة، ولد في ١٨٨٨ م، وتوفي في ١٩٦٦ م. انظر: الصراع بين القديم والجديد ٢/ ١٢٦٠.

(١) خير الدين التونسي، ولد سنة ١٢٢٥ هـ، وهو شركسي الأصل قدم إلى تونس صغيراً فاتصل بصاحبها الباي أحمد، وتقلد مناصب عالية آخرها الوزارة، ثم أبعد عنها فذهب إلى السلطان عبدالحميد في الآستانة فولاه الصدارة العظمى فاستقال ونصب عضواً في مجلس الأعيان إلى أن توفي سنة ١٣٠٨هـ في الاستانة، ويعتبر التونسي من أوائل الذين زعموا أنه لا حكم في الإسلام. انظر: الأعلام ٢/ ٣٢٧.

(٢) انظر: واقعنا المعاصر: ص ٢٣٠.

(٣) انظر: ما كتبه الأستاذ محمد قطب عن صالونات مي زيادة وهدى شعراوي ونازلي فاضل، وطريقة عمل هذه الصالونات وبعض أسماء روادها ومن تخرج فيها في كتابه «واقعنا المعاصر»: ص ٣٠٩ ـ ٣١١.

للغرب، وعقلاً مستعاراً لأفكاره ومناهجه ومبادئه، وليكونوا في الوقت ذاته عدواً وحزناً للأمة ودينها ومقومات نهضتها وحياتها.

ولقد وصل نفوذهم إلى الأزهر، وإلى من ينتسب إلى العلم والدين فأصدروا الفتاوى العجيبة في تبرير القوانين الوضعية، وتسويغ الحكم الجاهلي، والدفاع عن الحكومات الكافرة التي تتحكم في رقاب وبلاد المسلمين[1].

نعم لم يكن الأمر في أول نشأته محاربة للدين بصورة مكشوفة، فقد كان المخطط البريطاني يقتضي عدم استفزاز مشاعر المسلمين بالمعارضة الجريئة أو المواقف الفاصلة ضد الدين، كان يمشي على الأسلوب الإنجليزي المعروف (بطيء ولكنه أكيد المفعول)[2].

ولكن جوهر عملهم كان يرتكز على وضع نقطة صغيرة هي «الحضارة الغربية» بجانب المرتكز الأول والوحيد الذي هو «الإسلام» ثم الدعوة إلى تلك النقطة الصغيرة وتسمينها قليلاً قليلاً، حتى تكبر وتضخم، وتصبح نقطة ارتكاز ثانية في حياة المسلمين إضافة إلى الإسلام، ومع التضاؤل التدريجي المدروس والموجه ضد الإسلام الذي «كان» نقطة ارتكاز وحيدة، يتعاظم شأن النقطة الثانية ويستعلي شأنها، من خلال مايضخ لها من عوامل القوة والدعاية والإمداد المادي والمعنوي، حتى يأتي وقت تصبح فيه تلك النقطة الضئيلة هي نقطة الارتكاز الرئيسة، وتصبح نقطة الارتكاز الضخمة السابقة نقطة جانبية تكاد تنمحي من الوجود. لقد استغرقت عملية الانتقال التدريجي مايقرب من قرن من الزمن، ولكنها عملية مستمرة لاتتوقف، بل تتوسع على الدوام[3].

وما نراه اليوم من تفاقم الانحراف، وانتفاش العلمانية وانتفاخ الإلحاد والفساد، والمجاهرة بذلك والحماية له ليس إلاّ حلقة في سلسلة الانحراف

---

(١) انظر: فتاوى محمد عبده ورشيد رضا في واقعنا المعاصر: ص ٣٣١ ـ ٣٤٠.
(٢) انظر: المصدر السابق: ص ٣١٢.
(٣) انظر: المصدر السابق: ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

والتغريب الذي، بدأ ضئيلاً صغيراً، وكبر حتى أصبح أعظم فتنة تواجه المسلمين في هذا العصر.

وعلى الرغم من أن عباد الغرب وشياطينه تصوروا أنهم قد تجاوزوا مرحلة التلبيس والشبهات، إلى مراحل الهجوم الثوري الهدام المدمر الموجه مباشرة إلى الإسلام، جحداً ورفضاً ورداً ومناقضة علمية وعملية؛ إلاّ أنهم فوجئوا بقوة الصحوة الإسلامية، وأثرها وامتدادها الفعال والمؤثر، فعادوا إلى أسلوبهم القديم في التشكيك وإثارة الشبهات والأقاويل عن الإسلام، من داخل الإسلام، وما حديث الحداثيين والعلمانيين اليوم والذي يسترجعون فيه أصول الحكم لعلي عبدالرزاق وأقوال الطهطاوي والتونسي[1] إلاّ من ضمن هذا المخطط التغريبي التخريبي.

ومن هذا المنطلق استعاد العلمانيون والحداثيون أكل قيئهم القديم، والذي من ضمنه زعمهم بأنه لا حكم في الإسلام.

وفي كتاب «رأيهم في الإسلام» الشواهد الكثيرة على هذا، يقول عبدالرحمن منيف: (لايسعنا تصور مجتمع قائم على أسس دينية في زمننا الحاضر، فالدين بات مسألة شخصية)[2].

ولما سئل هل يُمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم؟.

أجاب: (... يبقى على الإسلام كثقافة وحضارة ومجموعة قيم أن يساهم في إغناء المجتمع بمعالم جديدة قد تزيده إنسانية، من هذا المنطلق يُمكن للدين المشاركة في إعادة بناء وتنظيم المجتمع، بشرط أن يستند هذا

---

(١) أعيد اليوم طباعة كتب هؤلاء وكتب طه حسين وقاسم أمين وغيرهم، وأنزلت في الأسواق بأسعار رمزية، ضمن سلسلة طويلة من الكتب العلمانية المدعومة رسمياً؛ لمقاومة الإسلام باسم مكافحة التطرف الديني، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الآية ٣٦ من سورة الأنفال] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [الآية ٢١ من سورة المجادلة].

(٢) رأيهم في الإسلام: ص ٢١.

التنظيم إلى ركائز علمانية، على ضوء مقتضيات العصر)[1].

ولما وجه هذا السؤال إلى يوسف الخال أجاب بسؤال خبيث قائلاً: (هل أن أحكام الشريعة إلهية أم من صنع البشر وبالتالي تحتمل التطوير؟، وفي معرض هذا الاستفهام توقفنا مسألة أخرى: هل القرآن منزل حرفياً أم أوحي به معنى وروحاً، كما هي الحال بالنسبة للدين المسيحي)[2].

وأجاب أميل حبيبي على السؤال نفسه بقوله: (لو كان في الشريعة الإسلامية أحكام كفيلة بإنشاء وإدارة دولة عصرية لتحقق الحلم، وفي الواقع لم يتحقق)[3].

أمَّا البياتي فيقول: (الإسلام كما غيره من الأديان، حضارة وثقافة ولايسعه فرض نهج حياة أو نظام سياسي معين... العدالة الإلهية في القرآن والإنجيل هي عدالة العالم الآخر، فلما[4] استعجال تطبيقها في عالمنا الأثيم؟ ذاك يتعارض والتعاليم الدينية)[5].

ويجيب آخر على السؤال الآنف الذكر قائلاً: (لا أعتقد ذلك، ولايُمكنها اعتماد أي دين كان)[6].

ويجيب على السؤال نفسه حسين بن أحمد أمين[7] بقوله: (لا طبعاً إذا اكتفت الشريعة باقتباس أحكامها من القرآن والسنة فقط)[8].

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٦.

(٤) هكذا والصواب: فلم.

(٥) المصدر السابق: ص ٥٢.

(٦) المصدر السابق: ص ٧٦ والقائل هو إدوار الخراط.

(٧) حسين أحمد أمين، علماني مصري، شديد الهجوم على الإسلام والمتمسكين به ينطلق من قاعدة إلحادية شيوعية، والده هو الكاتب المصري أحمد أمين.

(٨) المصدر السابق: ص ٧٩.

وهو الذي قيل عنه في الكتاب نفسه بأنه (قال بفكرة مرفوضة لدى الأوساط الشعبية، وأن تقبلتها الأوساط القانونية، تعتبر أن الشريعة ـ إذا ما درست وحللت دون أفكار مسبقة ـ ليست إلهية بالكامل وإنّما نتيجة تطور تاريخي لجملة تقاليد وعادات وانتماءات متعددة وأحياناً متناقضة)[١].

أمّا يوسف إدريس الذي وصفه مؤلفا كتاب رأيهم في الإسلام بأن (الصدمات التي أحدثها نضاله العلماني فصدع أوصال الإسلام الرجعي)[٢] أجاب على السؤال المذكور بالنفي القاطع، أي: يعتقد أنه لايُمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم[٣].

أمّا لويس عوض فيرى أن الإسلام دين علماني!!! ولذلك استطاع أن يتغلب على بيزنطيا[٤]. وأجاب على السؤال بقوله: (كلا، فليس لدى الإسلام نظام سياسي خاص)[٥].

ويجيب آخر بقوله: (أنا أدعو للدولة العلمانية، التي تبدو أكثر ملاءمة لإدارة مجتمع عصري، بينما يعني الإسلام بعلاقات الفرد مع ربه ومع الغير)[٦].

ويجيب آخر بكلام مائع متردد مؤداه أنه لا حكم في الإسلام[٧].

أمّا أركون فإنه لايفارق ضبابية التعبير والكتابة وعماياتها فيقول: (بينما تنطلق الدعوة لتطبيق الشريعة اليوم من مفاهيم الإسلام الدينية والفقهية الحقة)[٨].

---

(١) المصدر السابق: ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٤.

(٣) انظر: المصدر السابق: ص ٩٩.

(٤) (٥) المصدر السابق: ص ١١٢.

(٦) المصدر السابق: ص ١٢٢ والقول لجمال الغيطاني.

(٧) انظر: المصدر السابق: ص ١٣١ والقول لأحمد بهاء الدين.

(٨) المصدر السابق: ص ١٤٩، والنص دليل على عماية التعبير عند قائله، والعجمة والضبابية المسيطرة على أسلوبه.

وقبل ذلك يقول: (إن استجابت[1] محاولات أسلمة المجتمع، حالياً، عن طريق تطبيق الشريعة لحاجات أدبية وسياسية، فيعوزها التقصي عن واقع الفقه الإسلام عبر التاريخ)[2]. أي: أن علماء المسلمين وعقول المسلمين من عصر النبوة إلى اليوم لم يصلوا إلى ما وصل إليه أركون الذي تقصى عن واقع الفقه الإسلامي عبر التاريخ!!.

ولما سئل هل يُمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم؟ أجاب: (أرفض هذه الصيغة فالإسلام ليس بنظام حكم لا تاريخياً ولا عقائدياً)[3].

أمَّا رشيد بو جدرة فإنه يعلن أنه ملحد وماركسي ويجيب على السؤال بقوله: (إطلاقاً هذا مستحيل... لا أرى كيف يُمكن للإسلام أن يكون نظام حكم، علماً بأنه لم يكن أبداً كذلك)[4].

ويجيب أحد زملائه الماركسيين الحداثيين بإجابة اعتقادية بحتة قائلاً: (الدين أفيون الشعوب)[5]. وأجاب على السؤال بقوله: (كلا)[6].

أمَّا كاتب ياسين فإن إجابته أصرح في العداوة حيث يقول: (لدينا كل الدوافع لمحاربة العروبة الإسلامية)[7]. وهو بالتالي يجيب على السؤال بالنفي القاطع أن يكون في الإسلام نظام حكم.

ومن المغرب أجاب أحد الحداثيين قائلاً: (لا، لم يعد ذلك بالإمكان)[8]،

---

(١) هكذا والصواب: استجابة.
(٢) المصدر السابق: ص ١٤٩، والنص دليل على عماية التعبير عند قائله، والعجمة والضبابية المسيطرة على أسلوبه.
(٣) المصدر السابق: ص ١٥١.
(٤) المصدر السابق: ص ١٧٥.
(٥) المصدر السابق: ص ١٧٧، والمقصود هو طاهر وطار الشيوعي الجزائري.
(٦) المصدر السابق: ص ١٨٢.
(٧) المصدر السابق: ص ١٩٦.
(٨) انظر: المصدر السابق: ص ٢٠٠.

وقال: (العودة لدولة شرعية دينية أضحت مستحيلة)[1].

وأجاب عبدالوهاب المؤدب من المغرب بالنفي القاطع، ولما سئل هل النظام الإسلامي للحكم مرحلة حتمية على الشعوب العربية! قال: (أخشى أن يكون الجواب نعم، وأتمنى أن يكون لا)[2].

هذا بعض ما جاء في كتاب رأيهم في الإسلام الذي كان موجهاً أصلاً لاستقصاء آراء التلامذة النجباء الذين درسوا في الغرب أو نشأوا على العقائد الغربية، لمعرفة مدى رسوخ عداوتهم للإسلام، ومدى استيعابهم للحقد المبرمج الذي تلقوه ضد شريعته ومنهاجه.

الأمر الثالث: زعمهم بأن أحكام الإسلام لا تلائم العصر ولا يُمكن اعتماد الإسلام نظاما للحكم:

فمن جهلهم بالإسلام، وتغلغل العداوة في قلوبهم ضده، وانبهارهم بالغرب، واسترقاقهم لمذاهبه وعقائده ومناهجه، أطلقوا أحكامهم الجاهزة، وأقاويلهم الملقنة لهم، دون أدنى تمحيص أو نظر أو تأمل، وفق متطلبات «الإمعية» التي وصفها أبو جدرة بأنها (وصولية سياسية وإذا أردت أصولية ايديلوجية)[3]، ووصف زمرته من حداثي البلاد المغربية بأنهم (عرب الخدمات الفرنسية).

ومثل ذلك يقال عن سائر الإمعات من عرب الخدمات الغربية والروسية.

وقد مرّت معنا شواهد من كلامهم في الإجابة على السؤال: «هل يُمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام كنظام حكم؟» وقد أطبقوا على أنه

---

(١) المصدر السابق: ص ٢١١ والمقصود هو عبدالكبير الخطيبي.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٨.

(٣) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦٣٤٥ في ١٩٩٦/٤/١٢م الموافق ذو القعدة ١٤١٦هـ: ص ٢١.

لايُمكن للإسلام أن يكون نظام حكم في دولة عصرية.

ويقول عبدالرحمن منيف: (ولست أرى في الزكات[1]، مثلاً، سبيلاً لحل مشكلة الفقر، كما لا أعتقد أن ما راج في فجر الإسلام قابل للتطبيق حالياً)[2].

ويقول محمود المسعودي من تونس: (... يتحتم إدخال تعديلات على أحكام الشرع والتسليم بأن بعض نصوصه تجاوزها الزمن وضروريات الحياة المعاصرة)[3].

ويقول بو جدرة: (الإسلام لايتفق ودولة حضارية)[4].

الأمر الرابع: الزعم بأن حكم الإسلام سبب للتخلف وعائق عن التقدم وأنه لا تحرر فيه بل هو ضد الحرية:

وهذا تابع في المعنى للأمر الثالث، وقد سبقت الشواهد الكثيرة على قولهم هذا عند الكلام عن توحيد الألوهية، وعن النبوة، والوحي، وقد عبر عن هذا المعنى الهابط أدونيس في قوله عن الإسلام وأحكامه:

(في أرضنا شبح يتمطى

وسراباً ورملاً

ويملأ أعماقنا يباساً

ويملؤها دكنة ومحلاً

وفي أرضنا ملل يبدع المقابر

وينثرها، عبر أيامنا، أنيناً وعبر خطانا، مجازر)[5].

---

(١) هكذا والصواب: الزكاة.

(٢) رأيهم في الإسلام: ص ١٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٦٣.

(٤) المصدر السابق: ص ١٧٥.

(٥) الأعمال الشعرية لأدونيس ١/١٢٩ ونحو ذلك في: ص ١٣٠ - ١٣١.

وقد نقلنا في الوجه الأول قوله وقول جبران أنه لابد من هدم الشريعة؛ لأنها تعادي حرية الإنسان الكاملة، وتفتحه المليء[1]، ثم أضاف قائلاً: (فالشريعة هي الإرهاب الإنساني بامتياز، بل إن المجتمع لايكون طاغية ولايكون عدواً للتقدم والحرية إلاّ بالشريعة واستناداً إليها، إن الطغيان والعبودية من ثمار الشريعة)[2].

ومثل هذا القول الردي كتبه الخال فقال: (. . . مسألة الانحطاط والنهضة والتقدم ارتبطت دوماً، وثيق الارتباط، بمشكلة إخضاع الدنيا للدين والمجتمع للشريعة)[3].

ولما سئل: هل تأخذ ظاهرة اليقظة الدينية التي برزت في السنوات العشر الماضية منحى إيجابياً؟ قال: (لا، لا تتمتع بأي وجه إيجابي)[4].

ويصف بحقد نصراني عارم من يدعو إلى نشر دين الله وهديه في الأرض بقوله: (الخبيث الذي يدعي عن غير اقتناع أن الخضوع للشريعة الإسلامية واجب على كل المجتمعات، ويضم هذا التيار عدد من المثقفين لا يستهان به)[5].

وعندما يتحدث البياتي شارحاً رأيه في كتاب رأيهم في الإسلام يقول: (حرية الإنسان لاترتهن بدين أو عقيدة، فهي أولاً وآخراً، حرية معتقة مطلقة، وما المدينة المثالية إلاّ حيث يرتع الإنسان حراً فيبتدع عقائد لخدمة حريته)[6].

علماً بأن البياتي يدين بالشيوعية، ويعتقد الماركسية ويتبنى العلمانية، وينتمي إلى الحداثة، فلِمَ لم يجعل هذه مضادة لحرية الإنسان مع ما فيها

---

(١) انظر: الثابت والمتحول ٣ ـ صدمة الحداثة: ص ١٨١.

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٨١ ـ ١٨٢.

(٣) رأيهم في الإسلام: ص ٢٦.

(٤) (٥) المصدر السابق: ص ٢٩.

(٦) المصدر السابق: ص ٥١.

من إصر وأغلال جاهلية، أم أن المراد محاربة دين الإسلام وعقائد الإيمان؟ ومن هذا المنطلق أجاب البياتي على السؤال السابق المذكور عند الكلام عن الخال بأن ظاهرة اليقظة الدينية (ليست بالظاهرة الإيجابية)[1].

وآخر من حداثيي ونصارى لبنان يقول: (. . . الشعارات، كالإسلام الأصولي[2]، الوطن، القومية لم تعد تجدي نفعاً)[3].

وآخر من حداثيي المغرب يجيب عن السؤال المتعلق بظاهرة اليقظة الدينية قائلاً: (ليست بالظاهرة الإيجابية، غير أنها طبيعية وعادية، إنها تشكل عاملاً معيقًا للتطور الاجتماعي)[4].

أمَّا جابر عصفور فإنه يعتبر القدر والشرع مهانة للإنسان وإذلال وفرض وصاية وعائق[5].

أمَّا نزار فيصوغ موقفه من الشريعة في شكل تفعيلات فيقول:

(ـ إن الجريمة عاطفية

ـ إن النساء جميعهن مغامرات، والشريعة عندنا ضد الضحيه..

ـ يا سادتي إن المخطط كله من صنيع أمريكا، وبترول

الخليج هو الأساس، وكل ما يبقى أمور جانبيه

ـ ملعونة أم السياسة.. نحن نحب أزنافور

والوسكي بالثلج المكسر، والعطور الأجنبيهْ

ـ إن النساء بنصف عقل.. والشريعة عندنا

---

(١) المصدر السابق: ص ٥٦.

(٢) هكذا.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٠، والكلام لرشيد الضعيف.

(٤) المصدر السابق: ص ١٨٢، والكلام لطاهر وطار.

(٥) انظر: الإسلام والحداثة: ص ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧.

ضد الضحية

- كل القوانين القديمة والحديثة عندنا ضد الضحية)[1].

الأمر الخامس: زعمهم بأن أحكام الشريعة بشرية وليست إلهية:

على الرغم من جحد أكثرهم لوجود الإله العظيم - جَلَّ جَلاَلُهُ - إلاّ أنهم في سعيهم الحثيث لتلويث عقول المسلمين، وإتراعها بالتشويه والتلبيس والمخادعة، وقذف الشكوك في القلوب وغرس الريب مكان اليقين؛ يستعملون أي قضية تخدم مسلكهم ولو كانوا لايؤمنون بها.

وسواء كان جحدهم لألوهية الله تعالى جحداً كاملاً، أو كان جحدهم لبعض الألوهية أو بعض مقتضياتها، فإن المؤدى واحد، والمصب واحد، إنه المستنقع الجاهلي الآسن.

ومن مزاعمهم في هذا الباب قول النيهوم: (فمنذ مطلع القرن الهجري الأول كان الفقه الإسلامي يتلقى علومه بحماسة كبيرة في مدرسة التوراة)[2].

ومن ذلك التساؤل الخبيث الذي أجاب به يوسف الخال عن سؤال وجه إليه عن إمكانية اعتماد دولة عصرية على نظام الحكم في الإسلام قال: (هل أن أحكام الشريعة إلهية أم من صنع البشر وبالتالي تحتمل التطوير؟ وفي معرض هذا الاستفهام تستوقفنا مسألة أخرى: هل القرآن منزل حرفياً أم أوحي به معنى وروحاً، كما هي الحال بالنسبة للدين المسيحي)[3].

أمَّا حسين أحمد أمين، فيجعل الإسلام عقيدة وشريعة مجرد قيم عادلة جاءت مشوبة بتقاليد البدو، ويصوغ هذا القول في سياق امتداح وتبجيل للإسلام، وهو في الحقيقة ذم وشتم وتنقص، يقول: (لاتحد الإسلام تخوم المفاهيم الدينية، كالدين المسيحي، وإنّما يتعداها فيطبع الواقع بطابعه

---

(١) الأعمال الشعرية لنزار ٣/ ٢٣٣.

(٢) مجلة الناقد، العدد ١٣ تموز ١٩٨٩ م/ ١٤٠٩ هـ: ص ٧.

(٣) رأيهم في الإسلام: ص ٢٨.

الحضاري المشوب بالتقاليد البدوية التي حملها معه زاداً من أرض نشوئه، فالإسلام حضارة كما غيرها من الحضارات، يقوم على قيم دائمة عادلة، ومشروعه في هذا المجال فحسب)[1].

أي أن الإسلام عنده ـ وفي أحسن الأحوال ـ جاء من عند الله، وانتقل إلى الناس مشوباً بالتقاليد البدوية، أي أنه من صنع البشر، وليس من وحي الله تعالى؛ ذلك ليسقط عنه القداسة، تمهيداً لإلغائه وإلقائه في ساحة التلاعب العلماني، ثم ليصل إلى القول بأن الإسلام المشاب بالتقاليد البدوية لايتوافق مع العصر ولا مع الحضارة!!، وهذا ما صرح به قائلاً: (... إن عنينا باليقظة عودة لعادات وتقاليد الصحابة فذاك ضعف وعرقلة لكل تقدمية وسبيل للرجعية)[2].

ويعبر حسن حنفي عن هذه العقيدة الباطلة بفتواه العلمانية في أن الحدود الشرعية ليست مطلقة[3].

أمَّا نصر أبو زيد فيتلاعب بالمفاهيم قائلاً بأن (الدين هو مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخياً في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها)[4].

وهو قول طالما ردده العلمانيون في محاولة التواري لشن الهجوم على الإسلام من داخل الإسلام، فإذا قيل لهم في ذلك شيء قالوا نحن نناقش الفكر الديني، أمَّا الإسلام فله قداسته: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾[5].

ولكن الله أخرج أضغانهم وفضح بواطنهم المظلمة، فها هو أبو زيد لم يستطع الاستتار بمقصده فقال: (وإذا كان الفكر الديني يجعل قائل

---

(١) المصدر السابق: ص ٨٣.
(٢) المصدر السابق: ص ٨٤.
(٣) انظر: الإسلام والحداثة: ص ٢٣٣.
(٤) قضايا وشهادات ٢/ ٣٨٤.
(٥) الآية ٣٠ من سورة محمد.

النصوص ـ الله ـ محور اهتمامه ونقطة انطلاقه فإننا نجعل المتلقى ـ الإنسان بكل مايحيط به من واقع اجتماعي تاريخي هو نقطة البدء والمعاد)[1].

ثم ينفي أن يكون القرآن هو كلام الله تعالى، ويجعل اعتقاد المسلمين بأنه كلام الله المنزل مجرد تبرير ديني لوضع اجتماعي؛ وذلك لأن القائل بذلك: (يضفي على رؤيته تلك قداسة يستمدها من امتدادها التراثي وعبق التاريخ موهماً أنها الإسلام ذاته)[2].

ثم يرجح قول المعتزلة في خلق القرآن، ثم يصل إلى غايته حين يجعل النصوص الشرعية وما بني عليها وما يستنبط منها مجرد نصوص لغوية، وذلك في قوله: (إن النصوص الدينية ليست في التحليل الأخير سوى نصوص لغوية)[3].

وهنا ظهر المخبوء وتجلت حقيقة نظرته إلى الدين من خلال نظرته إلى نصوص الوحي، فما دامت النصوص عنده لغوية ومخلوقة، فهي مثل أي نص لغوي ومثل أي مخلوق بشري قابلة للمناقشة والرد والرفض، وقابلة للاستمرار والانقطاع، وليس فيها أي قداسة، بل القداسة عنده مجرد وهم مصطنع، يقول: (الآن أصبحنا في موقف يسمح لنا بالقول بأن النصوص الدينية نصوص لغوية، شأنها شأن أي نصوص أخرى في الثقافة)[4].

ثم يصرح بأن الوحي أصبح بشرياً (صار الإلهي بشرياً أو تأنس الإلهي)[5].

وبناء على ذلك فإنه يجعل «الحاكمية»[6] التي يقول بها علماء الإسلام ودعاته وأولياؤه مجرد وهم قائم على اعتبار أن الوحي من عند الله، وأن النص الشرعي نص مقدس.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٨٧.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٨٨.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٨٩.
(٤) (٥) المصدر السابق ٢/ ٣٩١.
(٦) انظر: المصدر السابق ٥/ ٤٠٢.

وعلى هذا الخبط الأعمى والتخرصات الجاهلة بنى أبو زيد وأتباعه مواقفهم المخاصمة والمناقضة للإسلام كله، بل هم قوم خصمون، جاهلون، في طغيانهم يعمهون.

ومن ذلك قول علاء حامد في روايته الإلحادية: (نجد أن نظام التوارث هذا سابقاً[1] على صيغ الأديان، وأن الصورة التي رسمتها الأديان ليست سوى ترجمة غير أمينة لما سبقها من تشريعات)[2].

وهذا جهل فاضح، ومحاولة لإيجاد جذور قديمة للإلحاد، وذلك بجعله التشريعات الجاهلية في الميراث أو غيره أسبق من الأديان المنزلة من عند الله تعالى.

أمَّا أدونيس فيزعم أن التشريعات من وضع الخليفة، وذلك في سياق حديثه عن تاريخ المسلمين الذي يتجه دائماً إلى ذمه وإلصاق كل العيوب والنقائص به، يقول: (وضع السيد الخليفة قانوناً من الماء، شعبُه المرق الطين، سيوف مصهورة، وضع السيد تاجاً مرصّعاً بعيون الناس، هل هذه المدينة آيٌ؟ هل ثياب الناس من ورق المصحف)[3].

الأمر السادس: قولهم بوجوب فصل الدين عن الدولة وعن الحياة؛ لأن الدين ـ عندهم ـ شأن شخصي؛ ولأنهم يعتقدون أن إخضاع الدنيا للدين مشكلة وكارثة:

وهذا في الحقيقة من الدعاوى المجردة، والمزاعم التي يحاولون بثها وترسيخها على أنها حقيقة قاطعة، ومسلمة يقينية ثابتة، مع أن النصوص الشرعية والأدلة العقلية، واتفاق الأمة كلها في مختلف أعصارها وأمصارها تدل كلها على وجوب العبودية لله تعالى والدينونة له في كل شأن من شؤون الحياة.

---

(١) هكذا

(٢) مسافة في عقل رجل: ص ١٨١.

(٣) الأعمال الشعرية لأدونيس ٢/ ٢٨٠.

وليس للعلماني إزاء هذه الحقيقة القاطعة إلاّ أحد موقفين:

إمَّا أن يدعي بأن الإسلام ديانة روحية وقيم خلقية، وعقائد غيبية مجردة ولاينظم إلاّ علاقة الفرد بربه، ولا علاقة له بما وراء ذلك من أمور الحياة، ومناشط البشر، وهذا من الكذب الجلي، والبهتان المكشوف؛ إذ الأدلة على عكس ذلك تماماً، وقد علم الناس قديمهم وحديثهم وعالمهم وعاميهم أن الإسلام قد غطى بأحكامه وشرائعه كل أوجه الحياة، وجميع فروع المعاش، وهذا القول فيه تكذيب بآلاف الأدلة القطعية من القرآن العظيم والسنة النبوية، وفيه من الافتراء على العقل والحس والواقع والتاريخ ما لايخفى على ذي بصيرة وعقل.

وإمَّا أن يدعي بأن أحكام الإسلام وشرائعه لم تعد صالحة للتطبيق في هذا العصر، أو أن الزمان قد تجاوزها، أو أن إخضاع الدنيا للدين مشكلة وكارثة، أو أن أحكام الدين قاسية وبشعة ولاتناسب عصر التحرر والانفتاح، وكفر المجترئين على هذه الأقوال مما علم بالضرورة من دين الإسلام، فقد جعل الله إبليس في نار جهنم خالداً فيها لرده على الله أمراً واحداً؛ فكيف بالعلمانيين الذين يردون كل شرائع الإسلام، ويناقضونها، ويستكبرون على الله وعلى دينه؟.

يقول المنيف بأن الدين مسألة شخصية، وليس له صفة الشمولية الكونية، ولايُمكن قيام مجتمع على أساس ديني[1]، ويرى الخال أن الانحطاط والنهضة ارتبطت دوماً بمشكلة إخضاع الدنيا للدين، والمجتمع للشريعة[2].

وينفث النصراني المتهود، الحداثي المناضل في فلسطين!! أميل حبيبي[3]، أحقاده على الإسلام ونظامه في مواضع كثيرة، منها أنه لما سئل

---

(١) انظر: رأيهم في الإسلام: ص ٢١.

(٢) انظر: المصدر السابق: ص ٢٦.

(٣) أميل حبيبي، حداثي نصراني الأصل يهودي الانتماء، ولد في حيفا عام ١٩٢٢ م، =

عن النظام الإسلامي للحكم وهل هو مرحلة حتمية على الشعوب العربية؟ أجاب: (بالنسبة إلى الدين شأن شخصي، وعند تخطيه هذا الحد يصبح شعاراً... نحن العرب في الأراضي المحتلة نرفض النضال باسم الدين)[1].

أمَّا كونه يرى الدين شأناً شخصياً فذلك من فروع العقائد النصرانية الحديثة، بعد التجديدات العصرية الملحقة بها!!، وله أن يقول ذلك عن دينه المحرف، أمَّا دين الإسلام فإنه أعلى من أن تطوله أيدي الأقزام وأذهان الأنعام، ولكنا نرى أنه يتحدث عن فلسطين وكأنه أحد مالكيها، ويرفض النضال فيها باسم الدين، وهذا والله من التطاول البغيض الذي عم اليوم حتى أصبح النصراني والشيوعي والعلماني والمنافق يتحدث باسم المسلمين وعن ديار المسلمين، ولاشك أن إبعاد الإسلام عن الحرب ضد اليهود هو أعظم وأكبر أهداف اليهود، ولكن هذا الحداثي صاحب رواية «المتشائل» ليس إلاّ أداة في الأيدي اليهودية التي وهبته الجنسية، ولديه جواز سفر يهودي - هو وسميح القاسم[2] - يتنقل به في الأرض على أنه من مواطني الدولة اليهودية.

أمَّا نصر أبو زيد فإنه يرى أن (الدعوة إلى أسلمة العلوم والآداب والفنون دعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب إنها دعوة تؤدي إلى تحكيم الفكر الديني الخاضع لملابسات الزمان والمكان والموقف الاجتماعي في مجالات فكرية، عقلية وإبداعية)[3].

= اشترك في تأسيس جريدة الاتحاد لسان حال الحزب الشيوعي الفلسطيني حصل على الجنسية الإسرائيلية وانتخب عضواً في الكنيست الإسرائيلي تحت لائحة الحزب الشيوعي، أعماله مليئة بالرموز النصرانية، والمضامين العلمانية مناوئ لدين الإسلام، موالٍ لليهود، ولذلك حصل على جنسيتهم، ونال جوائزهم، وله عند الحداثيين العرب الدرجة العالية والاحترام الكبير، هلك عام ١٤١٦ هـ. انظر: رأيهم في الإسلام: ص ٣٧.

(١) رأيهم في الإسلام: ص ٤٦.

(٢) انظر: جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦٣٤٥ في ١٢/٤/١٩٩٦م الموافق ذو القعدة ١٤١٦ هـ: ص ٢١ تحت عنوان حملة الجوازات الإسرائيلية متخوفون من المنع الثقافي.

(٣) قضايا وشهادات ٢/ ٣٨٥.

ويرى البياتي أن العدالة الدينية إنّما هي عدالة أخروية، وأن استعجالها في عالمنا الأثيم يعارض الدين[1].

وهكذا يظهر الماركسي المادي في مسوح المعترف بالدين والمشفق عليه من التلوث والتدنيس، وهو الذي لم يبق جهداً في جحد وجود الله تعالى وألوهيته والسخرية بذاته العلية وأسمائه وصفاته والتكذيب للوحي والأنبياء.

وقد سبق نقل أقوال عديدة من كلامهم في هذا الصدد، كقول أحدهم: (الإسلام كأي دين آخر يجب أن يبقى منفصلاً عن الدولة والنظام السياسي)[2]، وقول حسين أحمد أمين في أن اليقظة الدينية لاتأخذ أي منحى إيجابي بل تزيد الوضع تفاقماً ورجعية[3].

وعلى نحو الشفقة الكاذبة التي أطلقها البياتي في القول المذكور آنفاً، يقول النصيري الملحد أدونيس: (كان الدين صلة بين الإنسان والله، فتحول إلى صلة بين الإنسان والدولة، الدين صار جزءاً من مؤسسات الدولة، وبذلك ضمر)[4].

الأمر السابع: القول بوجوب تفسير الإسلام تفسيراً عصرياً، وتطبيقه تطبيقاً علمانياً:

وهو قول يجري في مجرى المخادعة والتلبيس، وضمن حرب المصطلحات المفاهيم وأحابيل اللُعب العلمانية ضد دين الله تعالى.. فهم يظهرون من خلال هذا القول ـ أحياناً ـ في مظهر من يعترف بالدين ويحترمه ويقدسه، ويريد بقاءه واستمراره، والمحافظة على أثره في الواقع.

وبعد أن تلبس الذئاب جلود الخرفان، وتُظهر الأفاعي لين جلدها،

---

(١) انظر: رأيهم في الإسلام: ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٦ والقول لأدوار الخراط.

(٣) انظر: المصدر السابق: ص ٨٦.

(٤) أسئلة الشعر: ص ١٤٠.

تتبدى بعد ذلك الحقيقة وتتجلى، حين تسمع أنهم يريدون الإسلام مفسراً بطريقة عصرية، أو بمنهج «تنويري»، أي أنهم يريدون إسلاماً تتلاعب به الأهواء الكفرية وتتقاذفة الشبهات الضلالية العلمانية، حيث لايبقى بعد ذلك إسلام ولا إيمان.

إنهم بهذه الدعوى يكشفون خبث طواياهم، ولؤم مسالكهم، ولو قال قس نصراني أو كاهن يهودي بأنهم يريدون تفسير الإسلام تفسيراً يهودياً أو نصرانياً؛ لكان هذا القول ـ رغم بشاعته وانحرافه وكفره ـ أقرب من قول العلماني والحداثي أنه يريد تفسير الإسلام أو تطبيقه بطريقة علمانية حداثية؛ لأن الملة الحداثية والعلمانية تقوم أصلاً على «اللادينية» فكيف يتفق هذا مع هذا القول؟!.

أضف إلى ذلك ما في رصيدهم الخائب من عداوات مستعرة ضد الإسلام، وأحقاد طائشة ضد شريعة الله تعالى ومسعى دائب لهدمه وتشويهه وإبادته، فكيف يتفق هذا مع هذا الطرح السخيف؟!.

يقول عبدالرحمن منيف: (يبقى على الإسلام، كثقافة وحضارة ومجموعة قيم، أن يساهم في إغناء المجتمع بمعالم جديدة قد تزيده إنسانية، من هذا المنطلق يُمكن للدين المشاركة في إعادة بناء وتنظيم المجتمع، بشرط أن يستند هذا التنظيم إلى ركائز علمانية على ضوء العصر)[1].

ويقول توفيق الحكيم عندما سئل: هل يُمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام ونظام حكم: (ممكن، ولكن يتعين اعتماد تفسيرات جديدة تتفق والمفاهيم العصرية، والمؤسف تبني البعض تفسيرات القرون الوسطى للنصوص الدينية)[2].

ويقول لويس عوض: (. . . وإذا تمكن الإسلام من التغلب على

---

(١) رأيهم في الإسلام: ص ٢٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٥.

«بيزنطيا» سابقاً؛ فلأنه كان ديناً علمانياً أكثر من الدين المسيحي في القرن السابع)[1].

ويقول آخر: (أنا أدعو للدولة العلمانية، التي تبدو أكثر ملاءمة لإدارة مجتمع عصري، بينما يعني الإسلام بعلاقات الفرد ربه ومع الغير، لقد تبدل المجتمع وتغيرت أحواله فلم يعد كالمجتمع الإسلامي في مكة والمدينة أيام النبي، يمكن للإسلام وضع المبادئ الأساسية للمجتمع وعدم الاهتمام مباشرة بعملية التطبيق، فمبدأ الزكاة مثلاً لايمنع من فرض ضرائب بالمعنى العصري للكلمة، إذ أن فرضها سبيل للعدالة الاجتماعية، إحدى مبادئ الإسلام عملاً بالقول بأن البشر خلقوا متساوين كأسنان المشط)[2].

وفي سؤال وجهه مؤلف كتاب «أسئلة الشعر» إلى يوسف الخال، قال فيه: (قرأت منذ فترة كتاباً للأب ميشال حايك يتصور فيه أنه لايُمكن حل القضية الفلسطينية إلاّ بتنصير المسلمين، على اعتبار أنهم يؤمنون مع المسيحيين بنزول المسيح لتخليصهم، كيف تتصور أنت من وجهة نظر مسيحية شرقية مستقبل القضية الفلسطينية، في الوقت الذي يعتبر فيه كثير من المسيحيين أن قيام إسرائيل هو نبؤة إنجيلية؟)[3].

أجاب الخال قائلاً: (ليس من الضروري أن يتنصر العالم الإسلامي، وهذا غير وارد، لايستطيع البت فيه إلاّ الله، وكل ما يُمكن قولهم إن الإسلام يجب أن يعاد تفسيره في ضوء معطيات الحضارة الإنسانية الواحدة...)[4].

الأمر الثامن: السخرية بأحكام الإسلام:

وقد بينا كيف يستخدم أعداء الإسلام السخرية لمحاربة الدين،

---

(١) المصدر السابق: ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٢.

(٣) أسئلة الشعر: ص ١٦٣.

(٤) قضايا وشهادات ٢/ ٣٩٤.

وهدمه، وتدنيسه، وقد ذكرت جملة كبيرة من الشعائر والأحكام في الفصل الأول من هذا الباب، وسوف أذكر هنا بعض الأحكام الشرعية التي أجالوا حولها عبارات سخفهم وسخريتهم واستخفافهم.

فمن ذلك كلام نصر أبو زيد عن حرمة الغناء[١]، وعن أحكام الرق والعتق[٢]، وعن حكم أخذ الجزية[٣]، واعتراضه وسخريته بحكم تحريم الربا[٤]، ومسألة ميراث البنات[٥]، واعتراضه على مبدأ لا اجتهاد فيما فيه نص[٦].

ويقول النصراني المتهود أميل حبيبي: (... ليس كل ما حرمه الإسلام كان منتشراً في الجاهلية فأين كانت العرب العاربة تجد مثلاً لحم الخنزير؟ كانت صعاليكهم تبحث عن الماء في الفيافي حتى تموت عطشاً، فأين كانت تجد الخمرة؟ ولو وأد العرب بناتهم «في الجاهلية» لانقرضوا...

... حتى يومنا هذا... تئد البنين والبنات وتئد المستقبل وهو في الأرحام... فأسدلوا على وجوههن البرقع والخمار وحجبوهن جيلاً بعد جيل وحتى يومكم هذا... تراثنا هو ما خلفه لنا الفعلة والأكارون لا ما خلفه لنا مدعو الخلافة الأكالون النكارون)[٧].

ويقول توفيق الحكيم: (... باعتقاد بعضهم أن في اعتماد الإسلام نظاماً يتحقق المجتمع المزدهر كما وُصف في التاريخ، علماً بأن المجتمع الإسلامي، ككل مجتمع، يقوم على أفراد يتصفون بالقوة حيناً وبالضعف أحياناً، ويظن الشباب الطالع الداعي لتطبيق الشريعة أن قطع يد السارق يضع

---

(١) أسئلة الشعر: ص ١٦٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٩٥.

(٣) (٤) المصدر السابق ٢/ ٣٥٧، ٣٩٨.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٤٠٤.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٤٠٤ ونحو ذلك قاله عادل ظاهر. انظر: الإسلام والحداثة: ص ٧٥.

(٧) رأيهم في الإسلام: ص ٤٠.

حداً للسرقة، هذه الرغبة في العودة إلى الماضي، وحتى إلى العصر الحجري، تتأتى من يأس بالحاضر والمستقبل، وفقدان الجذور الثقافية)[١].

ويصف أحدهم حكم القرآن بأنه مفاهيم العصور القديمة، ويصف حكم عبدالناصر بأنه حكم شرعي[٢].

أمَّا أركون فإنه يورد قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٣] ثم يقول: (إنني أنتفض بلا ترو حيال مواقف يستمدها البعض من فكرة وجود حالات فريدة في الإسلام لاتأتلف مع أوضاع أخرى، فيستبيح الجهاد كل الأعمال، أمر لايُمكن التسليم به)[٤].

ويقول أحدهم في كذب وسخرية بالإسلام وأحكامه قائلاً: (تستوقفنا نماذج أخرى كالتمييز بين إسلام الرجل وإسلام المرأة، فالدين يشهد هذا النوع من الانقسام الداخلي، إذ أن إسلام المرأة ينطوي على ممارسات سحرية وعادات وخرافات تتفاعل وسط الأسرة)[٥].

ويسرد العلماني المحترق عادل ظاهر في ندوة الحداثة والإسلام جملة من الأحكام الشرعية، وينتقد الذين يرون ثبات هذه الأحكام، ويرى أن ذلك دليل على فساد موقفهم.

والأحكام التي ذكرها هي: أنصبة الورثة في التركة، وعدد مرات الطلاق، والحدود المنصوص عليها كحد الجلد، أو قطع يد السارق، أو جلد الزانية، والمحرمات مثل الربا وشرب الخمر وقذف المحصنات والقتل وشهادة الزور[٦].

---

(١) المصدر السابق: ص ١٠٣.
(٢) انظر: المصدر السابق: ص ١٢٨. والقول لأحمد بهاء الدين.
(٣) الآية ٥ من سورة التوبة.
(٤) المصدر السابق: ص ١٤٩ ـ ١٥٠.
(٥) المصدر السابق: ص ٢٠٧، والكلام لعبدالكبير الخطيبي.
(٦) انظر: الإسلام والحداثة: ص ٨٢ ـ ٨٣.

ويصور صلاح عبدالصبور القضاء الشرعي في صورة هزيلة، ويجعل الأحكام الشرعية محلاً للتلاعب وذلك في مسرحيته مأساة الحلاج[1].

أمَّا نزار قباني فإن كثرة أقواله الساخرة بأحكام الشرع تحتاج إلى حيز كبير من هذا البحث، وتكفي بعض النماذج الدالة على المراد، ويكفيك من شر سماعه!!.

يقول نزار في هجومه على الثقافة والتراث وأحكام الشرع:

(ثقافتنا

فقاقيع من الصابون والوحل

فما زالت بداخلنا

راوسب من «أبي جهل»

وما زلنا، نعيش بمنطق المفتاح والقفل

نلف نساءنا بالقطن، ندفنهن في الرمل

ونملكهن كالسجاد

كالأبقار في الحقل

ونهزأ من قوارير بلادين ولا عقل

ونرجع آخر الليل

نمارس حقنا الزوجي كالثيران والخيل

بلا شوق بلا ذوق ولا ميل. . . .

قضينا العمر في المخدع

وجيش حريمنا معنا

---

(١) انظر: ديوان صلاح عبدالصبور: ص ٥٥٣ ـ ٥٥٧.

وصك زواجنا معنا

وصك طلاقنا معنا

وقلنا: الله قد شرّع

لياليا موزعة

على زوجاتنا الأربع

هنا شفة، هنا ساق

هنا ظفر، هنا إصبع

كأن الدين حانوت

فتحناه لكي نشبع

تمتعنا «بما أيماننا ملكت»

وعشنا في غرائزنا بمستنقع

وزورنا كلام الله بالشكل الذي ينفع

ولم نخجل بما نصنع

عبثنا في قداسته

نسينا نبل غايته

ولم نذكر سوى المضجع

ولم نأخذ، سوى زوجاتنا الأربع

أنا طروادة أخرى أقاوم كل أسواري

وأرفض كل ما حولي ومن حولي بإصرار

أقاوم واقعي المصنوع

من قش وفخار

١٩٣٨

أقاوم كل أهل الكهف، والتنجيم، والزار

تواكلهم تآكلهم تناسلهم كأبقار. . . .

تظل بكارة الأنثى

بهذا الشرق عقدتنا وهاجسنا)[1].

ومن هذا الهجوم السافر على أحكام الإسلام، والسخرية بها وتدنيسها يتبين مقدار ما ينطوي عليه قلبه المظلم من كراهية لدين الله القويم، فهو ينتقد ساخراً ممارسة الجنس مع الزوجات، ويدعو في مواضع كثيرة إلى الزنا والدعارة والمتاجرة بالأعراض والأبضاع، بل كل دواوينه القذرة تختصر المرأة إلى مجرد أعضاء للجنس والتلاعب الداعر.

ومن أقواله الساخرة بأحكام الشرع وعفة المرأة قوله:

(حين كنا في الكتاتيب صغاراً

حقنونا بسخيف القول ليلاً ونهاراً

درسونا:

«ركبة المرأة عورة»

«ضحكة المرأة عورة»

«صوتها، من خلف ثقب الباب عورة»)[2].

إلى أن يقول:

(خوفونا، من عذاب الله إن نحن عشقنا

هددونا، بالسكاكين، إذا نحن حلمنا

فنشأنا، كنباتات الصحارى

---

(١) الأعمال الشعرية لنزار قباني ١/ ٦٣٤ ـ ٦٣٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ٦٥٩.

نلعق الملح ونستاف الغبارا)[1].

ويقول أيضاً:

(وحين تصير الحرية مومساً سرية غير مرخص لها بمزاولة
المهنة.. فأنت منفي
وحين يقتلونك إذا كنت مؤمناً.. ويقتلونك إذا كنت
مشركاً.. ويقتلونك إذا قلت «أشهد أن لا إله إلاّ الله»
ويقتلونك إذا لم تقلها.. فأنت منفي)[2].

ويقول:

(أشهد أن لا امرأةً
قد غيرت شرائع العالم إلاّ أنت
وغيرت خريطة الحلال والحرام
إلاّ أنت)[3].

ولغيره ممن يُسمون شعراء الحداثة ومن كتاب الرواية الحداثية الكثير من هذا القبيل[4].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٦٦٠.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٩٥.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٧٤٥.

(٤) انظر: أمثلة لذلك قول فاضل العزاوي في مجلة الناقد، عدد :١٣ ص ١٨ ـ ٢٤، وقول جمال الغيطاني في رأيهم في الإسلام: ص ١٢٢، وقول جابر عصفور في الإسلام والحداثة: ص ١٨٣، ١٨٧، وقول عبدالوهاب المؤدب في رأيهم في الإسلام: ص ٢٢٧، وأقوال نزار في الأعمال الشعرية له ٢/ ٤٤٥، ٤٩٠، ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٨، وأقوال معين بسيسو في الأعمال الشعرية له: ص ١٩، ٢٥٩ ـ ٢٦١، ٢٩٢ ـ ٢٩٣، وأقوال سميح القاسم في ديوانه: ص ٦٩، ٢٧٨، ٧١١، وقول المقالح في ديوانه: ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨، ٤٨١، وقول علاء حامد في مسافة في عقل رجل: ص ١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٠٧، وقول عبدالرحمن منيف في مدن الملح ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣، ٣/ ٢٥٧، =

الوجه الثاني من أوجه انحرافاتهم: دعوتهم إلى تحكيم غير الإسلام.

وهذه نتيجة حتمية لكل تلك المقدمات الضالة المنحرفة، فمن لم يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وبالقرآن والسنة دستوراً، فلابد أنه قد رضي بأشياء أخرى، وهذا هو الواقع فعلاً، وأقرب شيء يستدل به هو انتماؤهم للحداثة، التي تبين بالأدلة الكثيرة القاطعة أنها ملة كفرية مناقضة كل المناقضة للإسلام عقيدة وشريعة.

ثم انتماؤهم للعلمانية التي هي في الحقيقة «اللادينية» وافتخارهم بهذين الانتمائين، ودعوتهم إليها، ودفاعهم عنهما، والسعي في نشرهما ونصرهما.

ولاشك أن بعض ذلك كافٍ في أعطاء تصور كامل عن مقدار البون الشاسع بينهم وبين الإسلام بل بعض ذلك فيه ما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا!!.

وفيه من البهت المكشوف والكذب المفضوح والعداء السافر للدين، والرد الصريح لعقائده وشرائعه، والاجتراء الكافر، ما يُعلم معه بالضرورة من دين الإسلام أن القوم في وادٍ والإسلام في وادٍ آخر، وقد استحق زعيمهم إبليس صفة الخلد في نار جهنم أبد الآبدين؛ لأنه رد على الله أمراً واحداً، فكيف بهؤلاء الذين يردون كل عقائد الإسلام وشرائعه، ويسعون في آيات الله معاجزين ويدعون إلى حرب الإسلام جادين عامدين؟.

فهذه قاعدة عامة يُمكن من خلالها تصور ما هم عليه من دعوة إلى تحكيم غير الإسلام، بيد أنهم في فروع هذه القاعدة قد تشعبوا إلى شعب كثيرة.

فمنهم الداعي إلى الشيوعية الماركسية، المنتمي إليها، أو إلى فرعها الاقتصادي المسمى بالاشتراكية، وهؤلاء كانوا كثرة أيام كانت للشيوعية دولة تحميها وتنشرها، وهي دولة الاتحاد السوفيتي، وقد استمر بعضهم في هذا الاتجاه موقناً بأنه ماركسي أكثر من ماركس ولينين، ويرى أن تلك التجارب

= وقول نوال السعداوي في روايتها «سقوط الإمام»: ص ١١، ٨٨، ١٠٦، ١١٢.

المنهارة في روسيا وشرق أوروبا وغيرها ليست إلاّ تجارب خاطئة لفكرة هي في الأصل صائبة[1].

ومنهم الداعي إلى القومية العربية[2]، وأكثرهم ينتمي إلى اليسار، ويعتبر من أدباء الواقعية الاشتراكية، وسبب ذلك أن أكبر الأحزاب القومية مثل الناصرية[3] والبعثية[4] وحركة القوميين العرب[5] تبنت الخط اليساري واتخذت من الاتحاد السوفيتي والصين قبلة لها.

---

(١) من أصحاب هذا الاتجاه: عبدالوهاب البياتي، وسميح القاسم، ومحمود درويش، وتوفيق زياد، ومعين بسيسو، وغسان كنفاني، وبدر السياب في أول أمره، وسعدي يوسف، ومحمود أمين العالم، وعبدالعظيم أنيس، ورجاء النقاش، وحسين مروة، ومهدي عامل، وعبدالمنعم تليمة، ومحمد مندور، وامطانيوس ميخائيل، وكاتب ياسين، ورشيد بو جدرة، وطاهر وطار، وحسن حنفي حسب ما صرح به عن نفسه في الإسلام والحداثة: ص ٢٣٨، وأميل حبيبي، وجمال الغيطاني قبل أن يتجه للصوفية الفلسفية، ومثله محمد الفيتوري، ومحمد دكروب، وحنا منيه، وعبدالرحمن الخميسي، وعبدالرحمن الشرقاوي في مرحلة سابقة، وأحمد سليمان الأحمد، وغالي شكري، وطيب تزيني، وفيصل دراج، وغالب هلسا، وغيرهم ممن عرفوا بأدباء الكتلة الشرقية، أو أدباء الواقعية الاشتراكية التي هي الصياغة الأدبية للماركسية.

(٢) من أصحاب هذا الاتجاه: سليمان العيسى، ومحمد صالح عبدالرضا، وعبدالأمير معله، ومحمد العلي، عبدالعزيز المقالح، ومحمد جميل شلش، وعبدالله البردوني، وعبدالرحمن منيف، والسياب بعد مرحلة الشيوعية، وممدوح عدوان، ومنيف الرزاز، وحميد سعيد، وسامي مهدي، وحصة المنيف، وأحمد بهاء الدين، وعبدالمعطي حجازي، وصلاح عبدالصبور.

(٣) الناصرية: نسبة إلى عدو الإسلام والمسلمين جمال عبدالناصر، والناصرية عقيدة قومية اشتراكية علمانية، نشأت على عين الأمريكان والروس كما في كتاب لعبة الأمم لمايلزكوبلاند، وقامت بدور كبير في التمكين للادينية في مصر وغيرها، وأتاحت الفرص لدولة اليهود أن تتوسع في بلاد المسلمين، وقامت بمعاداة الإسلام والمسلمين وقتل علمائهم ودعاتهم وسجنهم والتنكيل بهم. انظر: موسوعة السياسة ٦/٥٤٩.

(٤) البعثية: نسبة إلى حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أسسه النصراني السوري ميشيل عفلق، وهي تشابه الناصرية في المبادئ والغايات، وإن كانت أوسع تأثيراً وأدق تنظيماً، وعداوة البعثية للإسلام والمسلمين مما لايماري فيه اثنان. انظر: حزب البعث تاريخه وعقائده لكاتب هذه الأسطر.

(٥) حركة قومية يسارية تتبنى الخط الماركسي، أسسها النصراني جورج حبش وامتد أثرها=

وكلهم يدعون إلى تحكيم غير الإسلام.

ومنهم الداعي إلى الليبرالية[1] الغربية، وهي ذات فروع عديدة في الثقافة والمذاهب الفكرية خاصة، وعلى إثر سقوط الاتحاد السوفيتي وشيخوخة الناصرية، وتآكل حزب البعث وانكساره بعد حرب الخليج، وما تبعها من «استسلام» لليهود باسم السلام، استدبر جملة من الحداثيين والعلمانيين قبلتهم الأولى في موسكو وبكين ووارسو وبرلين، واتجهوا صوب واشنطن ولندن وباريس ومدريد وتل أبيب، وانتقلوا من أقصى اليسار الاشتراكي إلى اليمين الديموقراطي، وكلما ازدادت هيمنة أمريكا واستكبارها، وارتفعت راية اليهود وقويت شوكتهم، ازداد عدد المنتمين إلى هذا الاتجاه الليبرالي الديموقراطي الرأسمالي، وقد نجد في أسماء هذا الاتجاه من كان ماركسياً قحاً أو قومياً متعصباً فإذا به يصبح بين عشية وضحاها ليبرالياً متحرراً[2]!!.

وأيًّا ما كانت الانتماءات والتسميات فإن الكفر ملة واحدة، ويد واحدة

= إلى دول الجزيرة العربية مثل اليمن ودول الخليج، ويكفي في معرفة موقفها من الإسلام أنها ماركسية ذات قيادة نصرانية !!. انظر: موسوعة السياسة ٢/ ٢٣١.

(١) الليبرالية: مذهب غربي رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الاقتصاد والسياسة والثقافة والحياة العامة. انظر: موسوعة السياسة ٥/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

(٢) من أصحاب هذا الاتجاه: عصابة شعر: الخال وأدونيس وأنسي الحاج ونذير العظمة وغيرهم، وجبرا إبراهيم جبرا، وتوفيق صايغ، وسعيد عقل، وغالي شكري في مرحلته الثانية، ومثله عبدالرحمن المنيف بعد تركه للبعث، ويظهر ذلك في كتابه الأخير الديمقراطية أولاً الديمقراطية دائماً، وسهيل إدريس، ومحمد الماغوط، وسلمى الخضراء الجيوسي، وسعد الله ونوس، وشلة الفرنكفونية مثل طاهر بن جلون وعبدالوهاب المؤدب وكاتب ياسين ورشيد بو جدرة وطاهر وطار وغيرهم، وحسين أحمد أمين، ونجيب محفوظ، ويوسف إدريس، وتوفيق الحكيم، ومحمد أركون، وعلي أومليل، وعزيز العظمة، وعادل ظاهر، ولويس عوض، ومحمد عابد الجابري، ومحمد بنيس، ومحمود المسعودي، ونوال السعداوي، وهشام شرابي، وإسماعيل مظهر، وأنطون سعادة، وأمين الريحاني، وبلند الحيدري، وجابر عصفور، ونصر حامد أبو زيد، وزكي نجيب محمود، وغيرهم كثير.

ضد الإسلام والتوحيد. وسواء صحت نسبة من ذكرت من الأسماء إلى هذا الاتجاه أو ذاك أو لم تصح، فإنه مما لاريب فيه أن صاحبه يدعو إلى تحكيم غير الإسلام، بل وإلى إبطال الإسلام، وإزاحته عن التأثير في شؤون الحياة، وكفى بذلك إثماً مبيناً.

❁ ❁ ❁

١٩٤٤